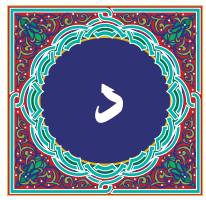

دادان (العلا)

تقع دادان على الضفة الشرقية لوادي العلا على بعد ٣كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من بلدة العلا القديمة بمنطقة المدينة المنورة، على خط الطول ٥٢َ ٣٧ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٩َ ٢٦ْ شمالاً. وبها موقع الخريبة مهد الحضارتين الدادانية واللحيانية، وهو خرائب وأنقاض متراكمة من المباني الحجرية المتهدمة، ومن هنا جاء اسم الموقع الخريبة. ومن أبرز الآثار اللافتة للنظر وسط هذه الأنقاض حوض حجري كبير منحوت في الصخر الأحمر بشكل أسطواني يبلغ قطره ٣٧٠سم وعمقه ٢٢٠سم، ويمكن النزول إلى وسطه عن طريق درجات منحوتة في الصخر أيضاً، مما يدل على أن الخزان كان في الأصل صخرة نُحتت حوضاً أو خزاناً. ويطلق الأهالي على هذا الخزان اسم الحلوبة أو محلب الناقة كما شاع أخيراً، بمعنى أن ناقة صالح، عليه السلام، التي ذكرت في القرآن الكريم، كانت تحلب فيه. والذي يظهر، أن هذا الحوض كان يتوسط معبداً لكبير الآلهة اللحيانية المسمى ذو غابة وهذا ما ذكره الباحثان الأثريان الفرنسيان جوسن Jaussen وسافنياك Savignac بعد فحصهما المكان وملاحظتهما وجود عدد من التماثيل الآدمية المنصوبة، بعضها على قواعد حجرية حول الحوض. ولعل الحفريات الآثارية مستقبلاً تكشف لنا أسرار هذا المكان.

وكان الإنجليزي تشارلز داوتي Doughty أول من زار هذا الموقع من الغربيين في أواخر سنة ١٢٩٣هـ مستهل سنة ١٨٧٧م. وقد تمكن الباحثون، وعلى رأسهم النمساوي إدوارد جلاسر صاحب الرحلات المتكررة إلى اليمن في أواخر القرن الميلادي الماضي، من

منظر عام لموقع الخريبة بـدادان (الـعـلا)، ويشاهد في الصورة خزان حجري كبير منحوت من الصخر، اشتهر لدى العامة باسم محلب الناقة.

التعرف عـلى هوية الموقع مـن خلال النقوش التي وجدت في العلا، فتبين لهم بما لا يدع مجالاً للشك، أنه موقع مديـنة دادان التـي ورد ذكرهـا وذكر الشعب الـذي عاش على أرضها في أكثر من موضع من كتاب العهد القديم (التوراة). وقد ورد ذكرها في معجم ياقوت الحموي على أنها مدينة حسنة تقع على الطريق بين البـلقاء والحجاز وأنها خربـة. وتعد الأبحاث الآثارية التي قام بها الفرنسيان جوسن Jaussen وسافنياك Savignac في هذا الموقع وما حوله، هـي القاعدة الأسـاسية لكل الدراسات العلمية التي تلت عن هذه المنطـقة. ويعد مـوقع دادان من أهم المواقع الأثرية القديمة وأكبرها في المملكة العربية السعودية، فقد شهدت أرضها منذ القرن السادس ق.م نشوء حضارات مختلفة عديدة.

ومن خلال النقوش التي جمعت من موقع الخريبة وما جاوره، تبين للباحثين قيام دولتين متعاقبتين في المنطقة اتخذت كلتاهمـا من مدينة دادان عاصمة لـها. وهاتان الدولتان هما مملكتا دادان ولحيان. وقد عرف الباحثون أسماء ما لا يقل عن ١٣ ملكاً لحيانياً في حين لم يتعرفوا إلاّ على ملـك واحد من ملوك دولة دادان التي سبق قيامها مملكة لحيان. ولكننا لا ننسى أن هـذه المعلومات التي عرفـناها عن دادان جـمعت مـن النقـوش التي وجدت متناثرة هنا وهناك في الموقع وما حوله، من دون إجراء حفريات آثارية. ولم يـشهد المـوقع حضـارة الدادانيـين واللحيانيين فقط، بل كانت دادان مركزاً

تجارياً رئيسياً لدولة معين في جنوب الجزيرة العربية، واستقر فيها عدد من أبناء القبائل الجنوبية. كما أطلقت النقوش المعينية على المدينة اسم معين مصر تمييزاً لها عن معين الجنوبية. وقد ظن الباحثون أن دادان كانت في فترة ما مستعمرة معينية.

ولم يتوقف نشاط دادان التجاري على علاقتها مع معين فقط، وإنما أدت المدينة دوراً سياسياً وتجارياً بارزاً في شمال الجزيرة العربية. وقد امتدت سيطرتها في عهد اللحيانيين إلى سواحل البحر الأحمر الشرقية الموازية، وأطلق الكُتّاب الإغريق والرومان على خليج العقبة اسم الخليج اللحياني. وكانت المدينة على علاقات سياسية وتجارية مع البطالمة في مصر.

وإذا التفتنا إلى البقايا الأثرية التي خلفتها الحضارات المتعاقبة في موقع دادان وجدناها تزخر بالشواهد الحضارية المتنوعة؛ منها المقابر العائلية والفردية المنحوتة في الواجهات الصخرية، والمعابد والمنشآت المعمارية المقامة على قمم بعض الجبال، وعدد من التماثيل البرونزية والحجرية. وكذلك شبكة كبيرة من الأنفاق أو القنوات المائية المبنية على أعماق متفاوتة تحت سطح الأرض.

ونورد فيما يلي معلومات موجزة عن هذه الشواهد الأثرية

أولاً: تنتشر المقابر العائلية والفردية في سفح جبل دادان المعروف حالياً بجبل الخريبة، وهو مجاور لموقع الخريبة من الشرق. ويمتد هذا الجبل من فتحة وادي

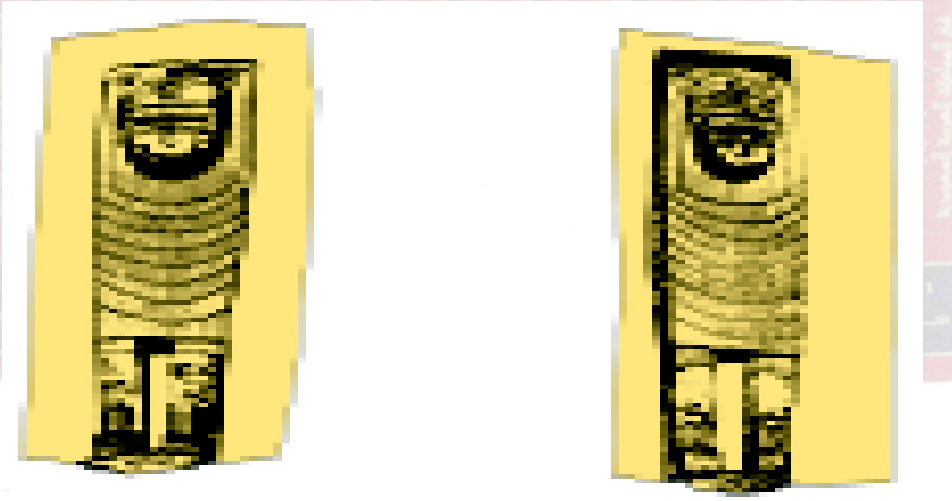

واجهة مقابر الأسود بموقع الخريبة في دادان (العلا)

المعتـدل شمالاً إلى فتحـة قلعة الحمـاد جنوباً. وقد حفر عدد من سكان دادان قبورهم في واجهة هذا الجبل، ومعظمها قبور صغيرة لا تتسع لأكـثر من جُثمان أو جثمانين أو ربما ثلاثة، بحيث توضع الجثة فوق الأخرى. أما المـقابر العائلية فقليلة، وهي غـرف منحوتة في جوف الجبل. وتشتمل كل غرفة على عدد من القبور المحفور أكثرها في باطن الأرض الصخرية، وقليل منها في جدار الغرفة الصخري. كما نجد عدداً قليلاً من القبور المحفورة فـي قمم بعض المرتـفعات أو بعض قطـع الصخور المتناثرة الـتي ربما سقـطت أو انسلـخت من المـنحدرات الجبلية. وهذه القبور ليست كلها لأهل دادان من دادانيين ولحيانيين، بل إن بعضها يخص أفراداً من الجالـية المعينية، وهي القبور المنحوتة فـي الطرف الجنوبي من جبل الخريبة (دادان) والمحروسة بتماثيل حيوانات شبيهة بالأسود.

وقد نقش بعض أصحاب هذه القبور أسمـاءَهم على الـواجهات الـصخرية مصحوبة بدعواتهم الموجهة إلى أربابهم. وننقل هنا ترجمة لنص نشره الفرنسيان جوسن وسافنياك تحت رقم ٤٥ يقرأ على النحو التالي:

١) عبد خرج بن فلاه زيد ذو غابة بنى
٢) قبراً له وقبراً لورثته كلهم
٣) وأخذ المكان [مكان القبور] في السنة الثانية من حكم تلمي بن
٤) هاني أوس

ونص آخر نشره جوسـن وسافنياك تحت رقم ٨١ وقدم له كاسكل Caskel قراءة أولية بالحروف العربية وترجمته على النحو التالي:

«هذا القبر لناتون بعل بن ونى وهو محمـي من اليمين وعلـى الشمال من اللصوص».

وممـا لا شك فـيـه أن مـثل هـذه النصوص أمدت الباحثين بمعلومات مهمة عن الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية في دادان. فإنّ خرج وذو غابة وبعل من أسماء الآلهة التي عبدها اللحيانيون في دادان، وكان ذو غـابة كـبيـراً للآلـهة اللحيانيـة. أما تلمي بن هاني أوس أو هانوءاس فهـو أحد ملوك لحيان الـذين حكموا خلال الفترة البطلمية.

ثانياً: يظهر فـي المعبد الرئيسي في دادان حوض كبير من الحجر غير أنه لم يكشف النقاب عن تـفاصيل هذا المعبد وحجمه حتى الآن. وهـناك أيضاً بقايا معبد لكبير الآلهة اللحيانية ذو غابة عُثر عليه فوق قمة أحد المرتفعات الصخرية في الجهة الغربية من وادي العلا، مقابل

الطرف الجنوبي لمرتفعات الخريبة. وهذا المرتفع هو المعروف بأم درج، لوجود درج عريض منحوت في الصخر يقود إلى القمة تقريباً. وقد عثر فيه على عدد من التماثيل الآدمية الصغيرة التي ربما قدمت هدية للمعبد.

وفي أعلى المنحدرات الصخرية لجبل الخريبة يوجد أيضاً عدد من المنشآت المعمارية المبنية والمنحوتة التي أقيمت فيما يبدو لأغراض دينية وعسكرية، وقد اشتملت الكتابات المنقوشة عليها وحولها على عدد من أسماء القبائل والأسر المعينية ومعبوداتها مثل ود ونكرح وغيرهما.

ثالثاً: نجد في عدد من التماثيل الآدمية التي استخرجت من بين أنقاض مدينة دادان -وحفظ بعضها في متحف مدينة العلا وبعضها في المتحف الوطني بالرياض، وبعضها في مدينة استانبول- عناصر كثيرة من الفن العربي القديم الذي ساد في مدينة دادان إبان تلك الفترة. كما نتعرف على شيء من ملامح سكانها وهيئاتهم وملابسهم.

رابعاً: إذا تركنا قمم المرتفعات الجبلية وما فوقها من منشآت معمارية، وتجاوزنا السفوح وما فيها من قبور ومنحوتات صخرية، وغادرنا أنقاض المدينة القديمة وما عليها من قواعد تماثيل وأعمدة وأبنية متهدمة ونزلنا إلى الوادي، فإننا نجد شبكة كبيرة من قنوات المياه الجوفية المبنية والممتدة على أعماق متفاوتة تحت سطح الأرض. وتتلخص هذه الطريقة في حفر بئر في مكان غزير الماء، ثم حفر نفق أفقي يسمح بجريان الماء يمتد من قاع هذه البئر إلى أن يخرج على وجه الأرض في منطقة منخفضة. وتطول هذه القناة أو تقصر تبعاً لطبيعة الميلان فوق سطح الأرض، فمنها ما يعد طولها بالكليومترات ومنها ما يعد بالأمتار.

وقد أسهمت هذه القنوات المائية في الازدهار الزراعي الذي شهدته مدينة العلا منذ مئات السنين، ولعل من أشهرها قناة عين تدعل التي احتفظت باسمها القديم المركب من «تدع-إل» منذ قرون ما قبل الميلاد حتى يومنا هذا. والمعروف أن لفظ «إل» عند عرب الجنوب وعند شعوب سامية أخرى في العراق وبلاد الشام، يدل على معنى الإله، ولهذا كثيراً ما نجده في النقوش القديمة ملحقاً بأسماء أخرى مثل: يدع وسعد وزيد وأوس.

الدار الحمراء (البريكة)

تقع الدار الحمراء على بعد ٥٨كم جنوب قلعة المعظم في منطقة تبوك على خط الطول ٤٧َ ٣٧ْ شرقاً ودائرة العرض

١٩َ ٢٧ْ شمالاً. وتعرف اليوم باسم البريكة، وهي منزل من منازل طريق الحج الشامي، ولكنها ذكرت بأسماء متعددة عند البلدانيين وفي كتابات الرحالة الحجاج الذين ساروا على الطريق، منها: فروش الرز، وظهر الحمراء، والدار الحمراء. وممن ذكرها من هؤلاء الرحالة السيد كبريت الذي مر بها سنة ١٠٣٩هـ، والخياري الذي مر بها سنة ١٠٨٠هـ، والتونسي الذي مر بها سنة ١٣٠٠هـ، وذكر أن بها بركة وقلعة بناها عثمان باشا سنة ١٠٦٧هـ، وقد هدمت هذه القلعة في الوقت الحاضر، أما البركة فما تزال باقية في الموقع. وممن شاهد هذه القلعة قبل هدمها الأبوان جوسن Jaussen وسافنياك Savignac، والتقطا لها صورة فوتوغرافية. وبالقرب من القلعة والبركة توجد محطة لسكة حديد الحجاز كتب عليها اسم الدار الحمراء.

درب عجلان

جنوب سلسلة جبال طويق، في بلدة نعام الواقعة في محافظة الحريق على خط الطول ٣٠َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٦َ ٢٣ْ شمالاً، يقوم طريق يصل طوله إلى ٥٠٠م تقريباً، شُقَّ عبر ثنايا الجبل، حيث ذللت فيه الصخور الضخمة، واستخدمت في بنائه الأحجار الكبيرة شبه المهذبة، وبنيت المنعطفات لتسهيل منسوب الصعود والنزول بطريقة مريحة، وبنيت على بعض جوانب الطريق حوائط قصيرة لحماية قوافل الجمال من السقوط. أما أرضية الطريق فقد رصفت بالحجارة المنبسطة ذات المدرجات المتعددة، وقد بلغ عرض الطريق ١,٥م تقريباً، وكان لهذا الطريق صيانة دورية من أهالي بلدة نعام في الماضي، وهذا ناتج عن روح التعاون والإخاء والمصلحة العامة فيما بينهم، ويتجلى ذلك بتوزيع المهام، فالقسم الأول منهم يقوم بصيانة أول الطريق، والثاني أوسطه، والثالث آخره، أما تجار النخيل فمهمتهم هي توفير الغذاء كالتمور للعاملين في هذا الطريق، وأما أهل المزارع القريبون من الطريق فهم يأتون بالعشب (الثَّيل) لوضعه بين أحجار أرضية الطريق وينتج عن ذلك تماسك الحجارة. أما أهل الحرف كالنجارين والحدادين والبنائين وغيرهم من أصحاب الصناعات المشابهة فيأتون بأدواتهم لدق أحجار أرضية الطريق لتكون خشنة فلا ينزلق عليها المارة. وقد سلك المسافرون والتجار إلى وقت قريب هذا الطريق متجهين إلى مدينة الرياض، وقد نقل الرواة أبياتاً منسوبة إلى الملك عبدالعزيز،

يرحمه الله، وهو في إحدى غزواته، يقول فيها:

يا بوي يا نوم عيني لا تباطاني
الجيش هزل وربعي ما يحنونه
عسى الحيا ما يسقي درب عجلان
اللي هل الهجن عجزو لا يذبونه
اللي قوي يتلونه بالارساني
واللي هزيل مع الطفة يذبونه

ومن خلال أسلوب إنشاء الطريق وتصميمه يتضح أنه قديم النشأة، لا سيما وأنه يشبه إلى حد كبير تلك الطرق القديمة الموجودة في ثنايا جبال طويق الواقعة غرب مدينة الرياض.

الدِّرْعِيّة

تقع الدرعيّة قرب مدينة الرياض في منطقة الرياض على خط الطول ٣٥َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٤َ ٢٤ْ شمالاً. ويروى أنها ظهرت كمدينة في منتصف القرن التاسع الهجري/ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي تقريباً. وسمّيت بهذا الاسم نسبة إلى الدروع، وهم بطن من بني حنيفة.

ويتميز موقع الدرعية بأنه يحتل هضبة مرتفعة يمر في قلبها وادي حنيفة ويتعرج خلالها من الشمال إلى الجنوب حسب طبيعة الأرض. وتغذي الوادي، عند مروره في الدرعية، مجموعة من الشعاب تصب فيه من الشرق والغرب. وقد أكسب هذا الموقع الدرعية أهمية خاصة من حيث وفرة المصادر المائية والتربة الخصبة والمرعى الوفير والموقع الحصين. غير أن تاريخ الدرعية السياسي والثقافي والحضاري لم يبرز بشكل فعلي إلا مع تسلم الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن مؤسس الدولة السعودية الأولى الحكم سنة ١١٣٩هـ. وفي عهده وصل إلى الدرعيّة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حوالي سنة ١١٥٧هـ فانطلق بناء الدولة السعودية الأولى وتوحيد معظم أنحاء الجزيرة العربية. وعلى مدى قرن من الزمان، منذ حكم الأمير محمد بن سعود ومن ثم حكم كل من عبدالعزيز بن محمد وسعود بن عبدالعزيز وعبدالله بن سعود، اكتسبت الدرعيّة شهرة واسعة داخل الجزيرة العربية وخارجها كعاصمة إسلامية. فزودها حكامها بكافة المرافق والمنشآت العامة والخاصة، فقد حميت المدينة بسور شبه مستطيل من الشمال إلى الجنوب، يصل طوله إلى حوالي ١٢كم يحيط بالبلدة من جميع الجهات، وزود بأبراج دائرية ومربعة على مسافات متساوية، وبني بالحجر الذي تغطيه طبقة من اللياسة الطينية، وتختلف سماكة

السور من منطقة إلى أخرى. كذلك أنشئت أبراج وحصون دعائم للسور داخله وخارجه بالقرب من المناطق المنخفضة التي تخترقها الشعاب باتجاه وادي حنيفة. وزودت الأسوار والأبراج بفتحات للرماية والمراقبة وقنوات لتصريف مياه السيول والأمطار.

وقام داخل سور البلدة عدد من الأحياء تزيد على العشرة، عُمِّرت فيها المساجد والقصور والأسواق، وخُطت الميادين العامة والأزقة والطرقات. واستخدمت الحجارة في أساسات المباني ثم بنيت الجدران باللبن، واتخذت مواد التسقيف من جذوع النخل وجعلت فوقها طبقة من الحصير مغطاة بطبقة من الطين، مع مراعاة انحدار السقف لتصريف مياه الأمطار. وتميزت عمارة الدرعية بالبساطة والجمال، وتوافر الأفنية المفتوحة على السماء للتهوية والإضاءة. مع وجود فتحات مثلثة في الجدران لدخول الهواء والضوء الدائمين للغرف بدلاً من استخدام النوافذ. كما تميزت مساجد المدينة بتصميمها على نمط العمارة الإسلامية المبكرة حيث الأعمدة الأسطوانية التي تحمل العقود المدببة، وتميزت مآذنها بأنها مربعة الشكل.

واجهة أحد القصور – الدرعية

كانت الدرعية مركزاً تجارياً وثقافياً؛ فكان يفد إليها العلماء وطلاب العلم من سائر البلدان من اليمن وتهامة والحجاز وبادية الشام والعراق وغيرهم. ووصفها بعض المؤرخين المعاصرين والقريبين لِعَهْدِها بأن مبانيها ودورها غالية الثمن وأسعار الأراضي فيها باهظة، وبَلَغَتْ من قوة اقتصادها أن إيجار الدكان الواحد يصل في الشهر إلى ٤٥ ريالاً، فيما لا يزيد إيجاره في أماكن أخرى عن ريال واحد. فكان أهل الحرف يتقاضون أجوراً عالية.

واشتهرت الدرعية بأسواقها العامرة ومواسمها التي تزدحم بالخَلْق من كل مكان. فقد كان بها سوق للخيل، وسوق للإبل، وسوق للأنعام. وبها سوق خاص بالرجال وآخر للنساء. وتتوافر فيها كل أنواع العملات الأجنبية، ويُباع فيها السلاح والذهب والفضة والأقمشة والمواد الغذائية.

تعد الدرعية القديمة في مجملها مدينة أثرية. ومن أبرز المواقع في المدينة حي الطريف الأثري الذي يضم أكبر عدد من المباني الأثرية، مثل مسجد الطريف، بيت المال، مسجد وسبالة موضي، قصر فهد بن سعود، قصر إبراهيم بن سعود، قصر عبدالله بن سعود، قصر ثنيان بن سعود، قصر مشاري بن سعود، حمام الطريف، مبنى الضيافة، قصر تركي بن سعود، قصر سعد بن سعود، سور حي الطريف، برج الدفاع، برج فيصل، قصر فرحان بن سعود، مسجد سعد، قصر عمر بن سعود، مسجد محمد بن عبدالوهاب، ومقابر حي الطريف. ولا يقل عن هذا الحي أهمية الحي المقابل له وهو حي البجيري الذي كان يسكنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وذريته، بالإضافة إلى حي ظهرة سمحان المستقل عن الدرعية ومحاط بسور خاص به دون غيره. وحي غَصيبة وحي السهل وملوي

صورة عامة لأطلال الدرعية

والنقيب والسريحة والطرفية والطوالع، وهي الأحياء التي تقع شمال الدرعية وجنوبها.

وكما تتعدد الأسوار التي تفصل بعض الأحياء عن بعضها بالدرعية، وقد يكون بعضها مرتبطاً بالسور الرئيسي وبعضها مستقلاً عنه.

أما أشهر المعالم فهي:

قصر سلوى: وهو قصر الإدارة والحكم للدولة السعودية الأولى، ويتميز هذا القصر بتعدد وحداته وضخامة بنائه، ومن هنا يعد هذا القصر علامة من علامات الرخاء المادي الذي نعمت به الدرعية في تلك الفترة. وهو يقع في محلة سلوى، وينسب إليها، وهو بالجهة الشمالية الشرقية لحي الطريف، ويحده شمالاً وادي حنيفة، وجنوباً قصر الإمام عبدالله بن سعود وإخوانه. أما شرقاً فيحده بيت المال، وغرباً مسجد الإمام محمد بن سعود (مسجد الطريف). أما البئر التي تمد القصر بالماء فتقع بالجهة الشمالية الغربية، والمساحة التي بني عليها هذا القصر تقدر بنحو ١٠,٠٠٠م٢، وهو يتكون من سبع وحدات معمارية، يعتقد أنها بنيت على فترات مختلفة إذ كلما جاء إمام شرع في إضافة وحدات وملاحق حتى أصبح على هذه الهيئة من الضخامة في البناء.

فالوحدة الأولى تبلغ مساحتها ٦٩٠م٢ تقريباً، وتقع في الركن الشمالي الشرقي من القصر، مدخلها في الجهة الجنوبية الغربية، وهي تتكون من مبنيين متماثلين متجاورين، كل مبنى منهما تتوسطه ساحة كبيرة تفضي إلى ثلاث غرف وملحق، بها سلم يصعد إلى الدور العلوي والبرج في الجهة الشرقية.

والوحدة الثانية مساحتها ٧٨٥م٢، وقد أنشئت في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وتتكون هذه الوحدة من طابقين، وهي ذات مدخل شمالي وآخر شرقي، فالشمالي يفضي إلى قاعة كبيرة تتوسطها أربعة أعمدة قسمت فيما يبدو بعد فترة واستخدمت كوحدات تخزين صغيرة، أما الشرقي منها فيفضي إلى سقف أو ظلة محمولة على أعمدة، ما زال بعض أجزائها قائماً. وتميزت واجهات هذه الوحدة بزخارف نجدية، تمثلت بأشكال هرمية مقلوبة وخطوط أفقية ورأسية بالإضافة إلى الشرفات المسننة في أعلى المبنى.

أما الوحدة الثالثة فمساحتها ٢٤٥م٢، وتتكون هذه الوحدة من ثلاثة طوابق، ذات مدخل من الجهة الشرقية

قصر سلوى – الدرعية

يفضي إلى ثلاث حجرات أكبرها الوسطى، وهذه الوحدة كسابقتها ذات زخارف نجدية متكررة. وقد حفلت هذه الوحدة بكثير من التعديلات والإضافات من لدن الإمام سعود الكبير بعد أن سكنها عقب والده الإمام عبدالعزيز بن محمد.

وأما الوحدة الرابعة فمساحتها ٤٤٥م٢، وتتكون هذه الوحدة من ثلاثة طوابق، ومدخل من الجهة الشرقية، ويتكون الدور الأول من ثلاث حجرات، كما يوجد برج بالركن الشرقي من هذه الوحدة. وجميع واجهات هذه الوحدة مزخرفة.

وتأتي الوحدة الخامسة التي بنيت في منتصف القرن الرابع عشر الهجري حينما تزايد سكان الدرعية الحديثة، وأخذوا في بناء وحدات حديثة نسبياً، إلاّ أن هذه المباني كانت فيما يبدو قد قامت على أنقاض حي الطريف الأثري الذي سبق أن هجر بعد تدمير الدرعية سنة ١٢٣٣هـ.

أما الوحدة السادسة: فهي كسابقتها أعيد استخدامها مع احتفاظ هذه الوحدة ببعض جدرانها القديمة، وتبلغ مساحتها ٧٢٠م٢، مقسمة إلى ثلاثة مساكن، لكل واحد منها مدخل خاص به. امتزجت في هذه المساكن الثلاثة فترتان من

العمارة، مع تميز الفترة الأولى بنضج معماري ممتاز سواء كان في المواد أو في التنفيذ مقارنةً بالمباني التي تعود للفترة الأخيرة.

وتتكون الوحدة السابعة من جزءين قدرت مساحتهما بنحو ١١٠٠م٢، استخدم الجزء الأول منهما سكناً حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، وهذا الجزء طرأت عليه إضافات وزيادات مختلفة، مما أخفى كثيراً من السمات التي كانت في فترة عمارته الأولى.

أما الجزء الثاني فهو أقل مساحة من الجزء الأول تقريباً، وتميز بوضوح السمات المعمارية القديمة فيه والتي تعود لفترة بنائه الأولى، وبمقارنة بقايا الزخارف والحليات في هذا المبنى نجد أنها لا ترقى لتلك الموجودة في الوحدات السابقة لهذا القصر، مما يرجح أن من قام بهذه الزخارف كان أقل مهارة ممن سبق أن عمل تلك الزخارف في الوحدات الأصلية المبكرة لقصر سلوى.

قصر الإمام عبدالله بن سعود:

يتكون هذا القصر من ثلاث وحدات تقدر مساحتها بأكثر من ٢٠٠٠م٢، وكان هذا القصر ذا وظيفتين: كان مقراً للسكن وداراً للحكم في فترة الإمام عبدالله بن سعود، الذي كان حاكماً للدرعية والدولة السعودية الأولى عندما غزتها جحافل قوات محمد علي باشا. لهذا نجد أن هذه الوحدات وما بقي منها، أكثر المباني تعرضاً للهدم والتخريب مقارنةً بغيرها من الوحدات في حي الطريف.

وتعد الوحدة الأولى أكبر المباني مساحة، إذ تقدر بحوالي ١٥٠٠م٢، ما تزال بقايا أساساتها قائمة حتى الآن بعد رفع الأنقاض والأتربة، ولكن يبدو أن هذه الوحدة قد أضيفت عليها بعض الإضافات المعمارية فيما بعد، إذ يظهر التمايز بين بناء الفترتين بشكل واضح.

وهذه الإضافات تمثلت في سدِّ بعض الأبواب، وتدعيم أساسات الجدران الخارجية للزيادة في المتانة والتحصين.

أما الوحدة الثانية فتقدر مساحتها بـ ١٠٠م٢، وهي مكونة من طابقين، الطابق الأول مقسم إلى جزءين شمالي وجنوبي، الشمالي منه ذو ثلاث حجرات يعتقد أنها غرف تخزين، أما الجنوبي فهو حجرة واحدة كبيرة ذات مدخل منكسر، وحجرتان صغيرتان تفضيان إلى مجموعة من الدرج تربط بين الدورين الأرضي والأول، وبهذه الوحدة برج يقع في الجهة الشرقية يمكن الدخول إليه عن طريق فتحة بالدور الأول. والدور الأول

بقايا قصر الإمام عبدالله بن سعود – الدرعية

يتكون من غرف متعددة استخدمت فيما يبدو للسكنى.

أما الوحدة الثالثة فالـذي يبدو من أسلوب عمارتها أنها لا ترجع في بنائها إلى فترة بناء القصر الفعلية، وبعد رفع الأنقـاض من بعـض الغرف وجـدت بعـض العناصـر المعماريـة الأصلية، وتتمثـل في بقايا أحد الأبراج بـالجهة الجنوبية، وبعض أكتاف وعتبات بعض الأبواب، بـالإضافة إلـى أحد أبواب القصر الرئيسية الأولى.

حمام الطريف: يدل وجود مثل هذا الحمام فـي الدرعية، العاصـمة الأولى للدولة السعودية، على المكانة التي كانت تحظى بها كـغيرها من حواضر الأقطار الإسلامية المختلفة، سواء كان في الشام أو العراق أو مصر. وأنه دلالة على تقدم معماري، وكثافة سكانية كبيرة، وتطور حضاري ملموس. وبالنظر إلى تخطيط حمام الطريف بالدرعية، نجـد أنه متأثر بحمامات الشام المعروفة في تلك الفترة، مع أن وجود الحمامات في شبه الجزيرة العربية ليس بغريب، فالحجاز حفل بكثير من الحمـامات المتطورة، أمـا في شرق الجزيـرة فإن منطـقة الأحساء كـان بها حمامات أيضاً. ويستـدل من هذا على

خزان المياه الرئيسي في حمام الطريف – الدرعية

أن وجود الحمامات الضخمة ينم عن مستوى حضاري مميز.

ويقع هذا الحمام إلى الجنوب من حي الطريف بالقرب من مصدر المياه المتمثل في بئر كانت تمد هذا الحمام بما يحتاج إليه من الماء. وللاستفادة من التكوينات الطبيعية لخدمة هذا الحمام، وكان اختيار موقعه بالقرب من الشعاب التي تصب في وادي حنيفة بغرض الاستفادة من الانحدار الطبيعي لتصريف مياه الحمام المستخدمة بشكل سلس ومأمون، وهذا الحمام يتكون من وحدات معمارية أولها المدخل الذي يفضي إلى الحمام وإلى المباني الملحقة به.

وبعد هذا المدخل هناك غرفة الاستقبال التي تعرف بالغرفة الباردة، وهي الغرفة التي يوجد بها المشرف على الحمام، وتفضي هذه الغرفة إلى الغرفة الدافئة وهي التي تخلع فيها الملابس، ويستبدل بها ما هو مخصص للحمام من مناشف وغيرها، ثم إلى الغرفة الساخنة والتي تعد أهم أجزاء الحمام، لأنها هي التي يوجد بها الاستحمام والبُخار وغيره، ويبدو من أسلوب بناء جدران هذه الغرفة أنها تحمل قبة كغيرها من الحمامات المماثلة، وقد فقدت هذه القبة. وتلي الغرفة الساخنة المواقد المبنية من الطوب المحروق، وأرضيتها تنخفض عن الأرضية

السابقة، وسقف هذا الموقد قبة من الآجر، ويلي ذلك مغطس الماء الساخن الذي يستخدم للاستحمام، كما يوجد مستودع حفظ الأخشاب التي تستخدم وقوداً للنار، في آخر الحمام وبعده المنحدر الهابط الذي من خلاله يمكن أن نصل إلى البئر التي تغذي الحمام في أسفل الشعيب الذي يقع عليه الحمام كما يلحق بهذا الحمام مبانٍ كثيرة متعددة الأغراض.

الدِّفي

تقع الدفي ضمن المنطقة التي يقوم عليها معهد الجبيل لتنمية القوى البشرية التابع للهيئة الملكية للجبيل وينبع، في مدينة الجبيل الصناعية في المنطقة الشرقية على خط الطول ٣٤َ ٤٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٤َ ٢٧ْ شمالاً.

استعير اسم الموقع من دوحة الدفي الواقعة إلى الشمال منه. والموقع جزء من خليج ضحل المياه، يقع بين ساحل الخرسانية في الغرب وجزيرتي أبو علي والباطنة شرقاً، وقد كان الموقع هجرة في منتصف القرن الرابع عشر الهجري للعمايرة من بني خالد، وذكرها لوريمر في دليل الخليج.

وأثناء أعمال المسح المبدئي الشامل الذي قامت به إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف للمنطقة الشرقية خلال ربيع سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، تم اكتشاف الموقع دون أن تحدد نوعية آثاره وأهميتها، وسجل الموقع تحت الرقم ٢٠٨/١٦٣ في سجلات إدارة الآثار والمتاحف.

والموقع مساحة من الأرض أبعادها ٢٥٠م × ٢٥٠م، ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ٣م في جانبها الغربي، وتنحدر تدريجياً باتجاه منطقة الشاطىء. وتكسو الموقع الرمال والأعشاب والشجيرات الصحراوية، بالإضافة إلى الأحجار الجيرية التي تنتشر بشكل عشوائي، وتشكل في بعض النقاط أكواماً صغيرة، تعطي انطباعاً سريعاً بأن بعض المباني الحجرية كانت قائمة في هذا المكان. كما تنتشر على سطح الموقع كميات كبيرة ومتنوعة من الكسر الفخارية غير المزججة، وكميات أقل من كسر الخزف المدهون بالطلاء القلوي.

وهناك تقرير نشر في حولية أطلال التي تصدرها إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، أعدته بعثة إدارة الآثار والمتاحف التي قامت بالمسح المبدئي الشامل للمنطقة الشرقية سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، لم يتضمن أي إشارة لأهمية موقع الدفي ٢٠٨/١٦٣ أو نوع المعثورات فيه، بل أشار فقط إلى أن الموقع تم ترقيمه ضمن

عشـرات المواقـع الأخرى. وفي سـنة ١٤٠٣هـ أرسلت إدارة الآثار والمتاحف بعثة علمية لإعادة مسح منطقة الجبيل، وأعدت تقريراً عن بعض المـواقع فيها، أشارت فيـه إلى أهمية المـوقع المسجل بالرقم ٢٠٨/١٦٣، الذي زاره عبدالله الدوسري سنة ١٩٨٨م من جامعة الملك سعود وحفر به ٤ مجسات ضَمَّن نتائجها أطروحته للدكـتوراه. وقد تسلم الموقع منه كل من محمود الهاجري وزكي آل سيف من باحثي إدارة الآثـار والمتاحف (متحف الدمام) وواصلا الحفر في اثنين من تلك المجسات ونشرا تـقريرهما في حولية أطلال (١٩٨٩: ع١٢).

وقد ظهرت أهمية الموقع مـن خلال المعثورات والمعالم الأثرية التي كشفت عنها أعمال حفر بعض المجسات التي أجريت في شتاء سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ومن أهم تلك المـوجودات بقايا لمبانٍ شيـدت بإتقانٍ وباستخدام الحجر الجيري، المقطوع والمهذب، على نحو جيد في بناء جدران غرفهـا، كما استخدم الجـص مونة بين أحجـار البناء وفـي التكسـيات لبـعض الجدران والأرضيات. وبعد دراسة تلك المباني ومقارنتها بالمباني المكتشفة في مواقع معاصرة لها يمكن وصفها بأنها أجزاء من بناء دينـي أو رسمي، أو قصر لنفرٍ مـن علية القوم.

بقايا جدران في موقع الدفي

كما وجد في الموقع كثير من المعثورات الحجرية، وهي أوانٍ وأغطية لأوانٍ ومجامر صنعت بشكل متقن من الحجر الصابوني أو الرخام أو الحجر الجيري. وتميزت بعض هذه المصنوعات بزخارف دقيقة نفذت على سطوحها الخارجية. أما الأواني الفخارية فمعظمها لجرار ومزهريات وزمزميات صنعت من الفخار غير المزجج، وبعضها من الفخار المطلي بطلاء قصديري أبيض أو قلوي أزرق أو أخضر. كما عثر في الموقع على كسر لأدوات حجرية وخشبية وبعض أدوات الزينة. وبدراسة تلك المعثورات ومقارنتها مع مثيلاتها اتضح أن الموقع عاصر فترات ازدهار حضاري خلال فترة الممالك العربية الوسيطة التي يؤرخ لها في الفترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد ونهاية القرن الثاني الميلادي.

الدوادمي

الدوادمي اسم يطلق على منطقة تقع على بعد حوالي ٣٣٣كم عن مدينة الرياض غرباً، على خط الطول ٢٣َ ٤٤ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٩َ ٢٤ْ شمالاً، وهي إحدى محافظات منطقة الرياض.

وتُعَدُّ المنطقة من بلدان العرض، وتعرف بثلاثة أسماء، هي: الدوادمي، ودَاوِرْد، والعويصي. ويعتقد أن الاسمين الأولين من الأسماء غير العربية لعدم ورودهما في المعاجم اللغوية العربية. أما الاسم الثالث فيعتقد أنه مأخوذ من اسم قرية تقع في المنطقة نفسها. ويرجح أن نشأة القرية المعروفة بالأسماء الثلاثة المشار إليها تعود للقرن العاشر أو القرن الحادي عشر الهجري، وهي تشكل جزءاً من محافظة الدوادمي الحالية.

ولعل أُولى الأدوات الحجرية التي عثر عليها في المنطقة وتعود للعصر الحجري القديم هي تلك التي عرضت على بيتر كرونوول Cornwall سنة ١٩٤٠م أثناء استضافة شركة أرامكو له. وعُرفت الأهمية الأثرية للمنطقة الواقعة على خط الطول ٢١َ ٤٤ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٠َ ٢٤ْ شمالاً سنة ١٩٧٩م على إثر نتائج موسم المسح الثالث للمنطقة الوسطى الذي نفذته إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، إذ اكتشفت مجموعة من المواقع بالقرب من وادي صفَّاقة في الدوادمي تبين، بعد أن فحصت أدواتها، أنها تعود للعصر الحجري القديم، أي نحو ٣٠٠,٠٠٠ سنة. وكان من بين المواقع ذات الأهمية موقع يُعرف بالرقم ٢٠٦/٧٦ في سجلات

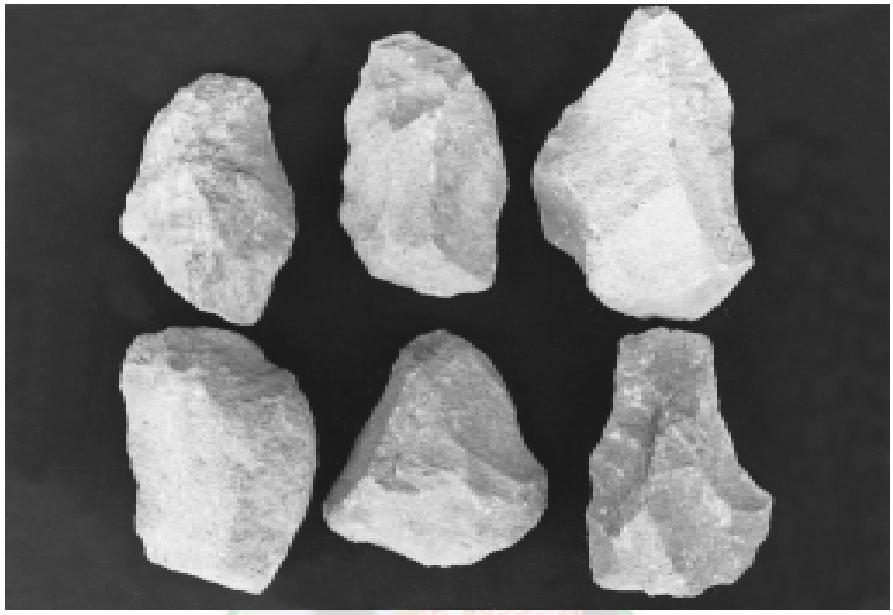

أدوات من العصر الحجري عثر عليها بالقرب من الدوادمي

إدارة الآثار والمتاحف وتبلغ مساحته ١٥٠م × ٢٠٠م.

وفي سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م قام فريق آثاري من الإدارة بإجراء المزيد من أعمال المسح والتنقيب. وفي سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م نُفذ موسم تنقيب آخر في عدة مواقع، ولذا تُعَدُّ هذه المواقع أول مواقع للعصر الحجري القديم يتم التنقيب فيها في المملكة العربية السعودية.

وقد عثر في الموقع على آلاف الأدوات الحجرية، التقط بعضها من مستوى السطح والآخر عن طريق حفرية نفذت بعمق ١,٤٠م، وقد تنوعت هذه الأدوات لتشمل الفؤوس اليدوية، والسواطير، والمعاول، والأدوات ثنائية الوجه، وأدوات ثلاثية السطح، والنويات، والمثاقب، والمناقش، وأدوات مشحوذة ذات تحزيز عميق، وأزاميل، وسكاكين صغيرة من الرقائق.

وقد تبين من دراسة تلك الأدوات أن الصخور المستخدمة في تصنيعها هي صخور الأندسايت، والجرانيت، والكوارتز، والريوليت، وجميعها متوافرة في المنطقة. وأفادت الدراسة أيضاً أن وظائف الأدوات المكتشفة تتمثل في إعداد الأطعمة، وذبح الحيوانات، وتجهيز جلودها، وقطع العظام وتجهيزها، وقشط الخشب.

ويفهم من الدراستين، الجيولوجية والآثارية، اللتين أجريتا عن المنطقة، بالإضافة إلى نتائج تحاليل اليورنيم-الثوريم المشع على المادة الكلسية المتبقية على الأدوات الحجرية، أن الإنسان وجد فيها قبل ٣٠٠,٠٠٠ سنة تقريباً، وأن ارتياده لها استمر مع تفاوت في كثافته العددية من زمن إلى آخر، حسبما دلت عليه كثافة الأدوات المكتشفة. ومع ذلك فوجود الإنسان بشكل عام كان يميل إلى التناقص مع مرور الزمن بسبب التغيرات المناخية والبيئية التي مرت بها المنطقة.

واتضح من نتائج تلك الأعمال، أن المنطقة كانت بها بحيرة بالقرب من الموقعين سالفي الذكر، وأن هناك شلالين يقعان بين الموقعين ويدفعان في البحيرة. كما تم اكتشاف سبعة وعشرين موقعاً في المنطقة، منها خمسة وعشرون موقعاً تعود للفترة الآشولية المتوسطة من العصر الحجري القديم ٣٠٠,٠٠٠-٢٥٠,٠٠٠ سنة، وموقع واحد يعود للفترة الآشولية الانتقالية من العصر الحجري القديم ١٢٠,٠٠٠ سنة، وموقع واحد يعود للفترة الموستيرية من العصر الحجري القديم ٧٠,٠٠٠ سنة. كما اكتشف موقع واحد يعود للعصر الحجري الحديث ٩٠٠٠-٤٠٠٠ سنة، وأربعة مواقع تعود لما بعد العصر الحجري الحديث (العصر المعدني)، وتحتوي المواقع الأربعة الأخيرة على بقايا إنشاءات معمارية ٤٠٠٠-٢٠٠٠ سنة.

وفي ضوء طبيعة المواقع وأنواع الأدوات التي عُثر عليها، يتبين أن وجود الإنسان كان مؤقتاً وينتقل إليها حسب المواسم، كما يتضح من دراسة الأدوات الحجرية أن الإنسان مارس نشاطات متعددة، وأنها جميعاً ذات صلة بمهنة الصيد وجمع والتقاط النباتات البرية.

وتشتهر المنطقة بمواطن التعدين القديمة التي تحيط بها. وقد ذكر سعد بن عبدالله بن جنيدل في معجم عالية نجد عدداً منها، كما أشار إلى وجود آثار معمارية لمنازل قديمة حولها، وأوانٍ وكسر فخارية وزجاجية ملونة بألوان مختلفة وزاهية، وكذلك بقايا من المساحن والرحي الحجرية.

ويفهم مما نشر عن نتائج المسح الميداني المنفذ في المنطقة سنة ١٩٧٩م، أن هناك عدداً من المواقع الأثرية التي تعود لفترات تالية للعصور الحجرية وسابقة لظهور الإسلام، وكذلك مواقع

قصر الملك عبدالعزيز – الدوادمي

إسلامية. وليس بالاستطاعة الحديث عن تلك المواقع لعدم وجود عمل منشور يتحدث عنها حديثاً مفصلاً.

ومن الآثار قصر الملك عبدالعزيز، رحمه الله، غرب الدوادمي، وقد بني القصر عام ١٣٥٠هـ وانتهي منه عام ١٣٥٢هـ.

والقصر مربع الشكل بني من اللَّبِن، طول كل ضلع من أضلاعه ١٠٠م، ويحتوي على أربعة أبراج مربعة بارزة عن سمك الجدار، ويحتوي على ثلاثة أبواب، الرئيسي منها في الجهة الشمالية، ويبلغ ارتفاع البرج عشرة أمتار وتبلغ مساحة البرج ٥م×٤م، وفي البرج سقاطات ومزاغل للحماية والمراقبة والدفاع عن القصر. أما الأبواب فيصل ارتفاعها إلى ٣م، وتستند إلى أكتاف بنيت من الحجارة المجصصة. أما السور الذي يصل ارتفاعه إلى خمسة أمتار فقد أسس من الحجارة التي تصل إلى ارتفاع متر، وبسماكة تصل إلى ١,٢٠م.

وقد أنشئ بداخله العديد من الوحدات المعمارية أهمها المسجد، وديوانية كبيرة كان الملك يستقبل فيها الوفود ورؤساء القبائل للنظر في شؤونهم وتفقد أحوالهم، ومحطة

بنزين، وبريد، ومحطة لاسلكي، وغرفة كبيرة في الدور الثاني. أشار الوفد الياباني في الرحلة اليابانية في عام ١٣٥٨هـ إلى أنها كانت مطلية بالجص، مرتفعة السقف، مفروشة بفرش، ومحتوية على وسائد.

ويصف فؤاد شاكر القصر في رحلته عام ١٣٦٠هـ، في كتاب رحلة الربيع وصفاً دقيقاً فيقول إنه بناء ضخم، في واجهته الرئيسية قصر للملك عبدالعزيز يشرّفه للاستراحة فيه أثناء سفره بين مكة والرياض، وحول هذا القصر من جوانبه الأخرى مبان أخرى أعدت لنزول الضيوف من رجال الحاشية ولغيرهم من النزلاء الذين يمرون بهذا الطريق في مختلف الظروف، وهي تشتمل على غرف فسيحة بنيت على الطراز العربي، وتتوسط هذا البناء الضخم جملة أحواش، في جانب منها جناح أرضي خاص أقيم فيه مركز اللاسلكي الذي يستقبل الإشارات ويرسلها بين مكة والرياض، ومن ثم بين جميع أجزاء المملكة والعالم كله. والسيارات تدخل بحمولتها إلى فناء هذا البناء، وتوجد ورشة صناعية صغيرة في جانب الفناء، وفي جانب آخر مستقل من ذلك البناء أقيمت محطة آلية للبنزين، وهذا البناء كالواحة الخصبة للمسافر، لما يتوفر فيه من أسباب الراحة، وأمام ذلك البناء حانوت أو حانوتان لتبادل السلع بين البادية، ويتزود منها المسافرون.

الدوسرية

الدوسرية اسم تعرف به قرية تقع على بعد ٤٥كم تقريباً إلى الشمال الغربي من القطيف شرق المملكة، وعلى بعد ١٢كم إلى الجنوب من الجبيل، على خط الطول ٣٨ َ٤٩ ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٦ َ٢٦ ْ شمالاً. وتنتشر مواقع أثرية حول تلك القرية أشهرها المواقع العائدة لفترة العُبيد. ويُعَدُّ موقع الدوسرية (١) الواقع عند تقاطع خط الطول ٤٤ َ٤٩ ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٤ َ٢٦ ْ شمالاً أشهر تلك المواقع وأكبرها مساحة، إذ تبلغ مساحته ٦ , ١كم٢.

وكان اكتشاف موقع الدوسرية (١) سنة ١٩٦٨م على إثر الجهود الميدانية لجريس بوروكهلدر G. Burkholder وميرني جولدنج M. Golding. وبعد أن عُرف أن فخار الموقع يعود لفترة نهاية الألف السادس ق.م أخذ الموقع شهرة واهتماماً من قبل الباحثين. أما العمل الميداني فهو ما قام به عبدالله حسن مصري

سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م عندما أجرى مسحاً للموقع ونفذ فيه بضعة مجسات اختبارية. وطبقاً لما ذكره، فإن كسر الفخار بالموقع تغطي امتداداً أفقياً يبلغ طوله كيلومترين. وقد أسفرت الحفريات عن سبع طبقات تغطي فترات استيطان تبدأ سنة ٥٣٠٠ وتنتهي سنة ٣٥٠٠ ق.م استدلالاً من المادة الأثرية وتحاليل كربون ١٤ المشع التي أجريت لبعض تلك المواد، بالإضافة إلى الدراسة الطبقية لما كشفت عنه المجسات الاختبارية.

وتتمثل المادة الأثرية التي جمعت من الموقع في الأصداف البحرية المتنوعة، والأدوات الحجرية المختلفة، والمجارش، وأحجار للتسوية، وقطع اللياسة الجصية التي يعتقد أنها تغطي جدراناً كانت مشيدة من الأخشاب وأغصان الأشجار، وكذلك أدوات من الحجر البركاني (الزجاج البركاني)، ومجموعة من الخرز المصنوع من الأحجار الكريمة.

دوقرا

تقع دوقرا على بعد ٤٠كم جنوب غرب محافظة طريف بمنطقة الحدود الشمالية، على خط الطول ١٥َ ٣٨ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٧َ ٣١ْ شمالاً على الحافة الغربية من خبراء دوقرا المغطاة بالشجيرات. منها ١٣كم على الطريق العام المعبد، و٢٧كم داخل الصحراء، وأشهر ما يميز الموقع جبل يعرف باسم أقرن جنوب غرب الموقع على خط الطول ١٥َ ٣٨ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٢َ ٣١ْ شمالاً، وهناك من يطلق عليه جبل دوقرا. ويبلغ طول الموقع من الشمال إلى الجنوب ١,٥كم فيما يبلغ عرضه من الشرق إلى الغرب ٥٠٠م، وهو من المواقع التي شملها المسح الآثاري للمنطقة الشمالية عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

والموقع يشتمل على عدة منشآت معمارية من أهمها:

القصر: وهو وحدة معمارية مربعة الشكل غاية في دقة البناء، يعتقد أنها قصر متهدم، إذ تظهر أساسات جدرانه، ويبلغ طول ضلعه ٤٢,٥م، وله بوابة تقع في منتصف جداره الشرقي، ويبلغ طولها ٢,٨٥م، وقد استخدمت في بنائها الحجارة الكبيرة مما جعلها تحافظ على شيء من ارتفاعها فوق سطح الأرض مقارنة ببقية جدران القصر. والمبنى يتكون من جزءين رئيسيين، الأول الفناء، وهو الجزء الأكبر، إذ تبلغ أبعاده ٤٠م×٣٣,٧٠م، ويوجد بداخله وقرب جداره الشمالي أثر بئر قديمة مطمورة

بالرمال دائرية الشكل يبلغ قطرها حوالي ٢,٥م. أما الجزء الثاني من المبنى فهو سبع وحدات معمارية تمثل غرف القصر، وتقع ملاصقة للجدار الغربي للمبنى، ويبلغ عرض كل غرفة ٤,٥م، أما أطوالها فتتراوح ما بين ٥,٧٠م×٤,٧٠م، ولكل غرفة من تلك الغرف باب بعرض ١,٢٥م يفتح على الفناء، كما تتصل الغرف فيما بينها بأبواب عرض كل منها متر واحد تقريباً.

وقد استخدم في بناء القصر الأحجار البركانية الكبيرة المهذبة التي رصت بطريقة متقنة جداً، كما استخدمت المونة الطينية للربط فيما بينها، وتدل سماكة الجدار وطريقة البناء ودقة القياسات على التطور الذي وصلت إليه تقنية البناء في هذا القصر، إذ يبلغ سمك الجدران الخارجية ١,٣٠م، أما الجدران الداخلية فيبلغ سمكها ٨٠سم. وكانت طريقة البناء المستخدمة هي وضع حجر بشكل طولي فوقه حجران بالعرض، كما استخدمت طريقة التعشيق للربط بين الجدران، وكذلك استخدمت المونة الطينية في البناء، وكانت أساسات الجدران الداخلية أعرض من الجدار نفسه. ومن المرجح أن القصر يعود إلى الفترة الرومانية المتأخرة

من آثار دوقرا

أو إلى الفترة الإسلامية المبكرة، ومن الآثاريين من يؤرخ أطلال المباني في دوقرا بالفترة الأموية.

كما يوجد خارج القصر مبنى طيني يقع إلى الغرب بحوالي ٢٢م، ويحوي وحدتين معماريتين لم تتضح معالمهما أو الهدف من بنائهما، لكن من المؤكد أنهما قد بنيتا في فترة لاحقة للقصر.

البركة: على بعد ٩٠م من الجهة الشمالية الشرقية للقصر توجد بركة بيضاوية الشكل، تبلغ أطوالها ٨٠م×٥٥م، وعمقها الحالي يبلغ ١,٥م. والبركة مطوية بأحجار بركانية غير متقنة البناء وبمقاسات مختلفة، وتمتلئ البركة بالرمال والأحجار الصغيرة، كما يوجد إلى الجنوب من البركة بقايا جدارين استخدما فيما يبدو لتحويل مياه الأمطار إلى البركة.

الدوائر الحجرية: هناك آثار تدل على وجود للدوائر الحجرية مغطاة بالرمال على منحدر الهضبة، كما عثر على ملتقطات سطحية، مثل حجر الصوان، وفي أعلى الهضبة وجد عدد من النصب التذكارية أو الرجوم التي يعتقد أنها كانت مقابر، ويبلغ قطرها أربعة أمتار وارتفاعها ١,٥م، كما عثر في الموقع على كسر فخارية تعود إلى الفترة الرومانية المتأخرة والعصر الإسلامي المبكر، وفخار مزجج

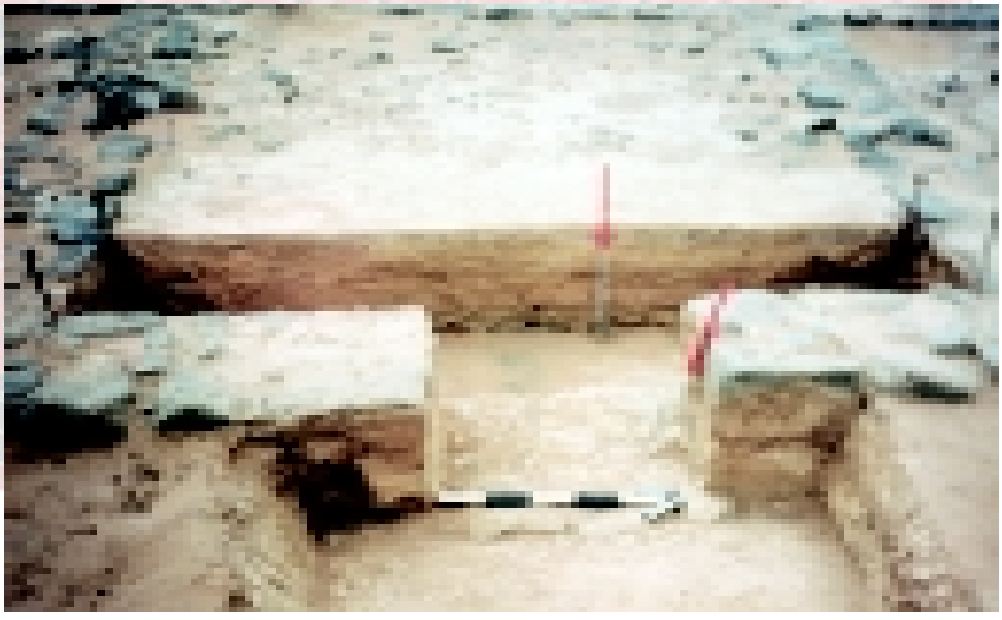

من آثار دوقرا

ومجموعة من حجر الصوان على هيئة مقتطعات حجرية طولية الشكل كأنصال ومكاشط ومثاقب ورؤوس سهام.

التلال الأثرية: توجد على بعد ٥كم شمال القصر مجموعة من التلال الأثرية يبلغ عددها حوالي ١٥ تلاً أثرياً، ومن المعتقد أنها مقابر جماعية، أو أن لها طابعاً معمارياً مميزاً جعلها تأخذ هذا الشكل.

دَومة الجندل

تعد دومة الجندل إحدى محافظات منطقة الجوف الواقعة في شمال المملكة، وتقع عند تقاطع خط الطول ٥٠َ ٣٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٨َ ٢٩ْ شمالاً. وهي إحدى أهم المدن القديمة في شمال الجزيرة العربية، ويعود تاريخها المدون إلى القرن الثامن ق.م، أما الأدلة الآثارية فتشير إلى مرحلة مبكرة من عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية القديمة.

وتعود أقدم المعلومات المدونة عن المدينة إلى سنة ٦٨٨ ق. م، إذ ورد ذكر دومة الجندل في أحد النصوص المسمارية في حوليات الملك الآشوري سنحريب Sennachrib (٧٠٥-٦٨١ ق. م) ضمن إشارة لحملة قام بها هذا الملك ضد مملكة دومة الجندل، ويشير النص إلى أن سنحريب دخل دومة الجندل وخربها وحمل معه الآلهة المحلية إلى نينوى بالعراق. كذلك ورد ذكر دومة الجندل في حوليات الملك الآشوري أسرحدون Esarhaddon ٦٨٠-٦٦٩ ق. م، كما ورد ذكر ملوك وملكات دومة الجندل في حوليات الملك الآشوري آشور بانيبال Assurbanipal ٦٦٨-٦٢٦ ق. م.

وفي النصف الثاني من القرن السادس ق.م وخلال حملة الملك البابلي نبونيد Nabonidus ٥٥٥-٥٣٩ ق.م على شمال وشمال غرب الجزيرة العربية، أخضع نبونيد دومة الجندل الواقعة على الطريق المؤدي إلى تيماء، قبل دخول تيماء واستقراره فيها لمدة عشرة أعوام.

وقد أكدت الأعمال الآثارية التي تمت في الموقع استمرار الاستيطان بالمدينة خلال القرون السابقة للإسلام، وما تزال الشواهد الأثرية قائمة حتى الوقت الحاضر، وهي تعود إلى عصور تاريخية متسلسلة.

وفي العصر الجاهلي أصبحت دومة الجندل من أهم مدن شمال الجزيرة العربية ومركزاً للقبائل العربية الشمالية. وكانت سوقها التجارية والأدبية من الأسواق المهمة في الجزيرة العربية. وكانت القبائل الشمالية والجنوبية تفد على هذه السوق،

نظراً لتوسط دومة الجندل وقربها من بلاد الشام والعراق، مما زاد من أهمية سوقها ومكانتها بين القبائل العربية. وفي فترة السيطرة البيزنطية على بلاد الشام أصبح حكامها وشعبها خاضعين في ولائهم للإمبراطورية البيزنطية حتى الفتح الإسلامي.

وقد اهتمت المصادر الإسلامية المبكرة برصد بعض الأحداث المرتبطة بمحاولات المسلمين فتح دومة الجندل. فتحدثت عن سرايا الرسول ﷺ إليها، ثم سرية عبدالرحمن بن عوف #، وتلتها في السنة التاسعة سرية خالد بن الوليد #، ثم فتح دومة الجندل وإخضاعها للسيادة الإسلامية في السنة الثانية عشرة للهجرة على يد القائد خالد بن الوليد # في بداية خلافة أبي بكر الصديق #.

وكذلك عُنيت المصادر الجغرافية، مثل معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري والمسالك والممالك للإصطخري، بالتحديد الجغرافي لموقع دومة الجندل بالنسبة للمدينة المنورة ودمشق والكوفة، إلا أن ياقوت في معجم البلدان أضاف معلومات تتعلق بتاريخ المدينة ووضعها المعماري.

وقد ركزت المعلومات التي أوردتها المصادر على الفترة الإسلامية المبكرة ولم تعن بالفترة السابقة للإسلام، وهي الفترة الحضارية المهمة التي تزخر المدينة بمخلفاتها الأثرية التي ما تزال تقف شاهداً على ازدهار الموقع خلال العصور السابقة للإسلام. ونأمل -بإذن الله- أن تمدنا الآثار الباقية، التي تعود لمختلف الفترات الحضارية، بمعلومات قيمة عن تلك الفترات التي لم تتحدث عنها المصادر المكتوبة.

وتتكون آثار الموقع من بقايا المدينة القديمة وتحصيناتها، إضافة إلى عدد من المواقع المحيطة بالمدينة. وإلى الغرب من دومة الجندل عثر على عدد من مواقع

منظر لجزء من دومة الجندل من قلعة مارد

العصور الحجرية التي تتكون من مجموعات من الدوائر الحجرية إضافة إلى مواقع تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط (٧٠,٠٠٠-٣٥,٠٠٠ سنة ق.م) تم اكتشافها على الحافة الشمالية الشرقية لصحراء النفود بالقرب من مركز قارا.

ومن أهم آثار الموقع قلعة مارد التي تقع على مرتفع صخري يطل على البلدة القديمة من جهة الجنوب.

قلعة مارد. تحدثت بعض المصادر الإسلامية عن قلعة مارد في سياق حديثها عن دومة الجندل، إذ وردت أقدم إشارة عنها في كتب السيرة التي تحدثت عن مراحل فتح دومة الجندل، وذكرت القلعة في مرحلة الفتح النهائية. إذ ذكرت المصادر أن خالد بن الوليد كسر باب القلعة وأسر المتحصنين داخلها من أهل دومة الجندل وأتباعهم. وأشار ابن خرداذبة إلى قلعة دومة الجندل التي ذكر أنها كانت تسمى قلعة مارد، وتحدث عن محاولة الملكة الزباء (زنوبيا أو زينب) ملكة تدمر ٢٦٧-٢٧٢م. احتلال قلعة مارد بدومة الجندل وحصن الأبلق بتيماء وفشلها في تحقيق ذلك، وأورد قولتها المشهورة «تمرد مارد وعز الأبلق». أما ياقوت الحموي فقد ذكر أن دوماء بن إسماعيل استقر في موضع دومة الجندل وشيد فيها قلعة سميت دوماء باسمه. لكن ياقوت عاد وذكر

الواجهة الجنوبية لقلعة مارد – دومة الجندل

في موضع آخر أن حصن دومة الجندل يسمى (مارد) وأن المدينة سميت بدومة الجندل لأن حصنها شيد بالجندل.

كما تحدث بعض الكتاب المتأخرين من الرحالة الغربيين، الذين زاروا منطقة الجوف خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عن قلعة مارد. ويُعد جورج أوغست فالين Wallin، الذي زار المنطقة سنة ١٨٤٥م، أقدم هؤلاء الرحالة، إذ قدم وصفاً مختصراً لعمارة القلعة وقارنها بالقلاع القديمة بدمشق. وفي عام ١٨٦٢م زار دومة الجندل الرحالة الإنجليزي وليام بلجريف Palgrave الذي يُعد أفضل من وصف القلعة، لكنه ركز على الشكل الخارجي، ولم يناقش تفاصيل القلعة من الداخل، وكذلك فعل الرحالة الإيطالي كارلو جوارماني Guarmani، الذي زار دومة الجندل سنة ١٨٦٤م. أما الرحالة الذين جاءوا بعد هؤلاء فلم يضيفوا معلومات أخرى مهمة، أمثال ليدي آن بلنت Blunt وجوليوس أويتنج Euting.

تتميز قلعة مارد بضخامة بنائها وقوته ومنعته، إذ تُعد من أبرز القلاع الأثرية في شمال الجزيرة العربية. وقد استمر استخدام القلعة منذ إنشائها في عصر يسبق القرن الأول قبل الميلاد حتى وقت قريب جداً، وتمت آخر مرحلة من مراحل ترميم القلعة خلال فترة سيطرة أسرة الشعلان على دومة الجندل. وذكر فيلبي، الذي زار الجوف سنة ١٩٢٣م، أن القلعة رممت قبل سنتين من زيارته.

لم يُحدد تاريخ القلعة في عصور ما قبل الإسلام على نحو دقيق، لكن الأدلة الآثارية التي كشفت عنها أعمال حفر تمت داخل ساحة القلعة أكدت استخدام المبنى خلال العصر النبطي من القرن الأول قبل الميلاد حتى بداية القرن الثاني الميلادي فقد عُثر على طبقات أثرية يعود أقدمها للعصر النبطي. وهذه الطبقات النبطية لا تمثل أقدم أدلة الاستيطان في القلعة نظراً لتوقف عملية الحفر قبل الوصول إلى أرضية القلعة البكر، بسبب مخاطر الحفر قرب جدران المبنى وضيق المساحة المهيأة للحفر. ومع ذلك حُفِر خندق اختباري ضيق، طول ضلعه ٤٠ سم وعمقه بلغ ١,٨٠م، وقد تأكد من خلال الخندق وجود أدلة أثرية أقدم من العصر النبطي، لكن صَعُب تحديد تاريخها بسبب قلة المعثورات في ذلك الخندق. أما الطبقات الأثرية العلوية التي تؤرخ لفترة تعقب العصر النبطي، فقد كُشف

عن خمس أرضيات متتالية، أقدمها أرضية من البلاطات القرميدية المربعة، وتعلوها أرضية من مكعبات الفسيفساء على هيئة مربعات هندسية نفذت باللونين الأحمر والأبيض الشاحب. ويعتقد أن هاتين الأرضيتين تؤرخان لازدهار القلعة خلال الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي، عندما كانت قلعة مارد مقر الملك أكيدر بن عبدالملك الكندي ملك دومة الجندل.

ونظراً لأهمية القلعة للدفاع عن المدينة، حرص سكان دومة الجندل في مختلف العصور على الاهتمام بتحصينها وترميمها، وظهر ذلك جلياً من خلال مباني القلعة القائمة التي أظهرت تنوعاً في مواد البناء وأساليبه مما يعكس مراحل معمارية مختلفة مرت على مارد. فيلاحظ في الأساس السفلي للقلعة استخدام أحجار كبيرة مقطوعة بشكل مهذب، أما الأجزاء التي تعلوها فتبدو الأحجار أصغر والعناية بها أقل.

أقيمت القلعة فوق تل صخري يرتفع حوالي عشرين متراً عن مستوى مسجد عمر وحي الدرع، وينحدر التل بشكل كبير باتجاه الجنوب والشرق، لذلك اتبع سور القلعة الخط الكنتوري لقمة التل، مما جعل القلعة تأخذ مسقطاً يقرب من الشكل البيضاوي. وتكوّن القلعة كتلة معمارية معقدة الشكل من الخارج، وتعتمد على أربعة أبراج مستديرة تربط بينها جدران حجرية ضخمة. وتتوزع الأبراج الأربعة على محيط السور البيضاوي، وتتفاوت المسافة الفاصلة بين كل برجين. وأطول مسافة بين برجين هي تلك التي تفصل بين البرج الشمالي والبرج الجنوبي الغربي، ويعد الجدار الواصل بينهما والمشيد على الحافة الغربية للمرتفع الصخري أعلى جدران القلعة، إذ يرتفع لأكثر من ١٧م فوق مستوى أرضية المبنى الداخلية، ويحيط بالبرجين الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي جدار ضخم مرتفع يأخذ شكل قوس، ويفصله عن السور الفعلي للمبنى ممر عرضه يتراوح بين ١,٥م-٤,٥م. وهذا الممر يحيط بالقلعة بدءاً من البرج الشمالي الشرقي حتى مدخل القلعة الواقع في منتصف الواجهة الجنوبية. والسبب الرئيسي لبناء هذا السور المزدوج هو حماية الأجزاء الشرقية والجنوبية للقلعة، لأن هذا الجزء بُني في الجزء المنخفض من المرتفع الصخري والذي يشكل نقطة ضعف في تحصين القلعة. إضافة إلى أن بئر

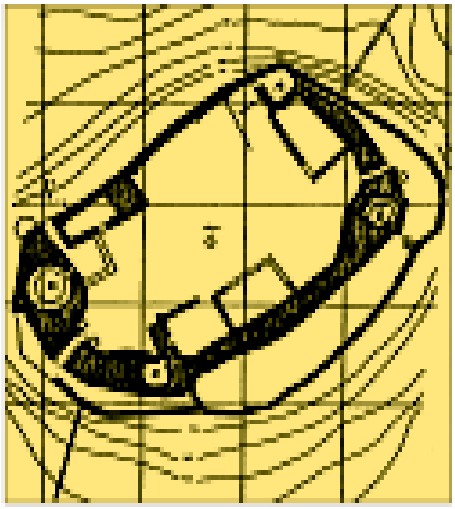

مسقط لقلعة مارد – دومة الجندل

الماء التي كانت تزود المبنى بالمياه، تقع في الطرف الشمالي للممر.

يأخذ المخطط الداخلي للقلعة شكلاً بيضاوياً، ويتكون مسقطها الداخلي من ساحة وسطى غير منتظمة تحيط بها أربعة أبراج مستديرة الشكل. ويشغل حيز الفراغ الداخلي عدد من الغرف، أولها مجموعة معمارية تلاصق الركن الجنوبي الغربي.

تتكون هذه المجموعة من بناء ذي طابقين شيد بالحجر يشمل غرفتين أرضيتين، تعلوهما غرفة كبيرة الحجم، يضاف إلى ذلك غرفتان متلاصقتان تقعان بالقرب من البرج الجنوبي الشرقي شيدتا من الطوب (اللَّبِن). والغرفة الأولى ملاصقة للسلم الحجري الذي يؤدي إلى ممر علوي يربط الأبراج الثلاثة الواقعة في الجهات الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية. وقد شُيد هذا الممر بالأحجار غير المهذبة، ويشكل كتلة مصمتة عرضها يتراوح بين ٥,١م–٥,٤م، وترتفع عن مستوى أرضية القلعة حوالي ٣م تقريباً، وتحتل جزءاً من الفراغ الداخلي للمبنى. والغرض من هذا الممر تحصيني بحت إذ يسمح بحرية الاتصال بين الأبراج الثلاثة الأخرى، كما يسهل عملية الدفاع عن القلعة، خاصة من الاتجاه الشرقي الذي يعد نقطة ضعف في تحصين المبنى.

ويتصل الممر الخارجي، الذي يفصل الأبراج الواقعة في الجهتين الشرقية والجنوبية عن الجدار الخارجي الذي بُني على السفح الشرقي المنخفض للمرتفع الصخري، بالساحة الداخلية عن طريق مدخل ضيق منخفض يقع أسفل البرج الشمالي الشرقي. ويسمح هذا المدخل فقط بمرور شخص واحد في وضع منحنٍ، وهذا يظهر الحرص على الجانب التحصيني في القلعة.

إن شكل البناء الخارجي والمخطط العام للقلعة يشير إلى أن المبنى أُنشئ لأغراض دفاعية بحتة. لذلك نجد الاهتمام بالجانب

منظر داخلي للجدار الغربي لقلعة مارد وبرجها الجنوبي الغربي – دومة الجندل

التحصيني نفسه كالجدران الضخمة، والأبراج المنيعة. وفي الوقت نفسه نلاحظ أن المخطط الداخلي للقلعة بسيط جداً، ويحتوي على عدد محدود من الغرف. وهذا الوضع لا يمكن تعميمه على وضع القلعة الداخلي في العصور المبكرة، إذ تشير المصادر ونتائج الأعمال الآثارية إلى أن القلعة كانت مقراً لسكنى حكام المدينة. فقد كشفت أعمال الحفر عن وجود أرضيات فسيفسائية وقرميدية تؤكد استخدام القلعة مقراً وسكناً لشخصيات مهمة.

ويلاصق مبنى القلعة الرئيسي من الجهة الجنوبية الغربية قصر بُني متأخراً في المنطقة المنبسطة المحاذية لسفح المرتفع الصخري الذي تقوم عليه القلعة، ويرتبط الركن الشمالي الشرقي لهذا القصر بالقلعة، إذ يلتصق برج القصر الشمالي الشرقي بالجدار الخارجي للقلعة، لذلك فإن مدخل القلعة الوحيد يفتح على القصر مباشرة، ولا يستطيع المرء الوصول إلى القلعة إلا عبر الحيز الداخلي للقصر الملحق بالقلعة.

ويعود تاريخ بناء القصر الملحق بقلعة مارد إلى فترة متأخرة عن تاريخ بناء القلعة، إذ يُعتقد أن القصر شيد بعد سيطرة ابن شعلان على الجوف عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م وربما كان تاريخ البناء متفقاً وزمن ترميم قلعة مارد الذي قام به ابن شعلان سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م.

ويشكل المسقط العام لمخطط القصر شكلاً شبه مستطيل، إلا أن الضلع الجنوبي أطول من الضلع الشمالي.

صورة عامة للقصر الملحق بقلعة مارد – دومة الجندل

ويقع المدخل الرئيسي للقصر في الطرف الشمالي للواجهة الغربية، وهو مدخل منكسر يبرز عن مستوى الجدار الخارجي. ويؤدي المدخل إلى دهليز مغطى يفتح على الساحة الداخلية للقصر، التي تحتل نصف مساحة المبنى تقريباً. ويوجد في الجزء الشمالي من الساحة الداخلية قسم الاستقبال الرئيسي، ويتكون من مجلس كبير وغرف خدمات تقع خلفه. وفي آخر الجهة الجنوبية للساحة توجد بقايا أساسات مسجد صغير يتكون من رواق للقبلة يتوسطه صف من الأعمدة الحجرية، وفي منتصف جدار القبلة توجد بقايا محراب ومنبر يشبهان محراب ومنبر مسجد عمر. ويفتح رواق القبلة على صحن المسجد الذي تماثل مساحته مساحة رواق القبلة. ويشبه مخطط المسجد ومحرابه ومنبره تماماً مسجد عمر بن الخطاب، لكن على نحوٍ مصغر.

ويحوي الجزء الشرقي من مساحة القصر القسم الداخلي، ويتكون من ثلاث وحدات منفصلة. الوحدة الأولى تقع في الركن الشرقي ملاصقة لقلعة مارد، وتتكون من ثلاث غرف تفتح على فناء داخلي صغير. أما الوحدتان الثانية والثالثة فتقعان في الركن الجنوبي الشرقي وتتكونان من عدد من الغرف المنفصلة، يحيط بها سور مستقل، وتفتح على

الساحة الرئيسية عن طريق مدخل في ركنها الشمالي الغربي.

وتعكس مساحة القصر وأجزاؤه الأربعة، الاستقبال والساحة الرئيسية والمسجد والوحدات الداخلية، إضافة إلى ارتباطه بقلعة مارد، ناحية مهمة، وهي أن المبنى شيد ليكون مقراً وسكناً للأمير، لأن طبيعة القلعة ومساحتها لا يفيان بمتطلبات الإدارة والحكم.

ويحيط بالقلعة من الجهتين الشرقية والشمالية بقايا تلال أثرية على مساحة كبيرة يتخللها عدد من الآبار القديمة التي توضح مدى الرقعة الكبيرة التي كانت تشغلها البلدة القديمة. وقد حفر خليل المعيقل من جامعة الملك سعود عدداً من المجسات في أجزاء متفرقة إلى الشمال والشرق من القلعة، ونتج عن ذلك العثور على طبقات أثرية تؤرخ لعصور ما قبل الإسلام، وتعلوها طبقات أثرية تعود لفترات إسلامية مبكرة.

ومن المواقع المهمة في محافظة دومة الجندل، سلسلة من التلال الأثرية الصغيرة التي تتركز في الجزء الشمالي الغربي من دومة الجندل، وتقع هذه التلال المتباعدة في وسط الأحياء السكنية، بل إن بعضها يقع داخل ساحات المنازل ووسط المزارع.

تعود معلوماتنا عن هذا الموقع لموسم عام ١٤٠٥هـ إذ إن أعمال المسح والحفر التي أجرتها إدارة الآثار والمتاحف خلال هذا الموسم حددت طبيعة الموقع، وحُفر عدد من تلال الموقع التي كشفت عن مقابر جماعية قديمة. وقد حفر في الموسم الأول ثلاثة تلال C1, A1, B1، أما في الموسم الثاني ١٤٠٦هـ فقد استكمل الحفر في التلال C, A، بالإضافة إلى حفر تل جديد تل D، وقد حُفرت سبعة مربعات تنقيبية خلال موسمي الحفر. وأظهرت أعمال الحفر في التلال المختلفة عدداً من المقابر الجماعية، يعتمد تصميمها على حفرة مربعة طول ضلعها أربعة أمتار وعمقها ١,٦٠م، بني داخلها ثلاثة جدران حجرية متوازية. وتتعامد هذه الجدران مع جدار رابع بني ملاصق لحافة الحفرة. وقسّمت هذه الجدران الحيز الداخلي للمقبرة إلى ثلاثة خنادق مستطيلة استخدمت للدفن الجماعي. وهذا النمط التخطيطي للمقابر وجد في معظم المجسات التي حفرت في التلال الأربعة.

وكشفت أعمال الحفر في مقابر الصنيميات عن قدر كبير من العظام الآدمية، التي تؤكد أن الموقع كان من

نمط المقابر الجماعية، فقد وجد في الخندق الواحد كميات عظام لعدد من المتوفين، ولوحظ أن أكثر العظام محروق بشكل متعمد، وربما كان ذلك من تقاليد الدفن لدى الأنباط. كذلك عثر في داخل المقابر، إلى جانب العظام الآدمية، على مواد أثرية، مثل الفخار والمسكوكات والحلي النحاسية والزجاجية والخرز. وتشير التقارير الأولية التي نشرت في مجلة أطلال في العددين العاشر والحادي عشر، إلى أن هذه المعثورات تعود إلى فترات حضارية مختلفة.

وحاولت النتائج التي توصلت إليها تقارير النشر الأولى، ربط المقابر بالفترة الهلينستية، على الرغم من أن كل المواد الأثرية المكتشفة تعود للعصرين النبطي والروماني. ولم يؤخذ في الاعتبار طُرق الدفن المتبعة ونمط تخطيط المدافن المكتشفة، وقد وُجِدَ هذا النوع من المقابر بكثرة في بعض المواقع الأثرية في فلسطين إذ كان يعاد استخدام القبر أكثر من مرة.

وتعود المعثورات التي وجدت في مقابر الصنيميات لفترتين مختلفتين، إذ عُثر على قطعة نقد نبطية ترجع لفترة حكم الملك النبطي الحارثة الرابع، الذي حكم بين السنوات ٩ق.م - ٤٠م، كذلك عثر على مسكوكات متأخرة، تؤرخ إحداها بسنة ١١٨م، وهذا يؤكد استمرار استخدام المقبرة من قبل سكان دومة الجندل، حتى بعد سقوط دولة الأنباط.

وترتبط معظم المواد الأخرى المكتشفة بالفترة النبطية، خاصة الفخار الذي يماثل أنماطاً نبطية معروفة عثر عليها في دومة الجندل، وفي موقع قيال في منطقة الجوف، وفي مواقع نبطية أخرى خارج المنطقة.

ويدل انتشار المقابر النبطية في دومة الجندل والعناية بها، على ازدهار المدينة خلال فترة حكم الأنباط التي امتدت من القرن الأول قبل الميلاد حتى بداية القرن الثاني الميلادي، ويدل كذلك على أن المنطقة التي تنتشر فيها تلك المقابر كانت في الفترة النبطية تقع على أطراف البلدة السكنية.

مسجد عمر: يتمركز المسجد في وسط البلدة القديمة ملاصقاً لحي الدرع من الجهة الجنوبية، ويفصله عن قلعة مارد، الواقعة إلى الجنوب منه، عدد من المنازل التي بنيت على سفح المرتفع الصخري الذي تقوم عليه القلعة.

ويُعد مسجد عمر واحداً من أهم وأبرز الآثار الإسلامية، وخاصة في

منطقة الجوف، وتنبع أهميته من عدة نقاط: الأولى تتمثل في تخطيط المسجد الذي يعكس استمراراً لنمط تخطيط المساجد الإسلامية الأولى، فتخطيطه يشابه إلى حد بعيد تخطيط مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، ومساجد البصرة والكوفة التي بنيت على التوالي سنتي ١٤ و١٥ للهجرة. وتبرز أهمية المسجد الثانية من خلال محافظته على نمط التخطيط والبناء التقليدي القديمين. وأما الثالثة، فيعد مسجد عمر من أقدم المساجد التاريخية القائمة في المملكة العربية السعودية ولم تتغير طبيعة بنائه الأولى.

ينسب بعض الباحثين المسجد إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب #، على الرغم من أن هذه النسبة لا تنفيها أو تثبتها أدلة مؤكدة، مما حدا بعدد من الكتاب الذين تعرضوا للمسجد إلى الخوض في هذا الموضوع. وقد رجح حمد الجاسر نسبة المسجد إلى الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز، لأن المسجد يحتوي على محراب ومئذنة، وهما عنصران أضيفا إلى عمارة المسجد في العصر الأموي، ومع وجاهة هذا الرأي علمياً إلا أن وجود هذين العنصرين ودخولهما على عمارة المساجد المبكرة، مثل مسجد الرسول ﷺ في المدينة، ومساجد البصرة والكوفة والفسطاط وصنعاء وجواثا، لا ينفي نسبتها للعصر المبكر. لذلك فإن نسبة هذا المسجد للخليفة عمر بن الخطاب # لم تأت من فراغ، خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن دومة الجندل دخلت تحت لواء الإسلام منذ السنة الثانية عشرة للهجرة مما يستلزم بناء مسجد في خلافة عمر بن الخطاب #، لخدمة الأعداد الكبيرة من سكان دومة الجندل الذين دخلوا الإسلام، لذا فإن المسجد القائم قد يكون استمراراً لمسجد شيد بعد فتح دومة الجندل ودخول أهلها في الإسلام.

يأخذ تخطيط هذ المسجد مسقطاً مستطيل الشكل تقريباً طوله من الغرب إلى الشرق ٣٢,٥م، وعرضه من الجنوب إلى الشمال ١٨م، ويتكون المسجد من رواق القبلة، الذي يحتل ثلثي مساحة المسقط، ومن صحن تفتح عليه أروقة المسجد، ويحتل الجزء الخلفي للصحن مصلى صغير ذو محراب مجوف بارز.

ويمثل رواق القبلة أبرز وأهم أجزاء المسجد، ويحتل هذا الرواق ثلثي مساحة المسجد الكلية، ويمتد بطول ٣٢,٥م وعرض ١٠,٢م، ويتكون الجزء المغطى

من المسجد من ثلاثة صفوف من الدعامات الحجرية موازية لجدار القبلة، ويتكون الصف الأول الموالي لجدار القبلة من عشر دعامات، بينما يتكون الصف الثاني الأوسط من تسع دعامات، لأن الدعامة الثالثة من جهة الشرق ملتحمة مع الدعامة الرابعة من خلال إغلاق الفراغ الفاصل بين الدعامتين، ويبرز صفا الدعامات الأول والثاني إلى جهة الشرق بمسافة أطول من مستوى امتداد الصف الثالث من الأعمدة المطلة على صحن المسجد، الذي يبلغ امتداده ٢٩,١م، لذلك فالصف الثالث يتكون من تسع دعامات فقط.

تأخذ الدعامات مسقطاً مستطيلاً، وقد شُيِّدت من الحجارة والمونة الطينية. ويعلو الجزء العلوي من الدعامة سلسلة من الطنف الحجرية التي تبرز عن مستوى الجدار الداخلي للدعامة، وتعمل على تضييق المسافة الفاصلة بين كل دعامتين لتسمح بحمل السواكف الحجرية والخشبية التي تعلو سلسلة صفوف الدعامات التي يرتكز عليها سقف المسجد.

ويتوسط جدار القبلة حنيتان متشابهتان، تمثلان محراب المسجد ومنبره. ويقع المحراب في منتصف جدار القبلة، وهو عبارة عن تجويف عمقه ١,١٥م واتساع فتحته ٨٠سم. ويعلو تجويف المحراب عقد مثلث يتكون من كمرتين حَجَريتين مستندتين بعضهما إلى بعض بزاوية ٦٠ درجة. أما المنبر فيلاصق المحراب مباشرة من الغرب، ويفصل بينهما جدار سمكه ٢٥سم، تتخلله فتحة نافذة. ويشبه المنبر في تصميمه المحراب تماماً، ويتكون من درجتين وجلسة غير مرتفعة. والمحراب من العناصر التي دخلت على عمارة المسجد مع بداية العصر الأموي، وكان نمط المحاريب من قبل يأخذ شكلاً مجوفاً.

وفي الجزء الشمالي من البناء يقع صحن المسجد الذي يمتد موازياً لرواق القبلة. وهو مستطيل الشكل، يبلغ طوله من الغرب إلى الشرق ٣٠,٩م ومن الجنوب إلى الشمال ٨,٤م. ويلاحظ صغر مساحة الصحن قياساً بمساحة رواق القبلة. وربما كان السبب في ذلك صغر مساحة المسجد أساساً بسبب موقعه المتوسط من المدينة. ويشغل الجزء الشمالي من حيز الصحن مصلى صغير بُنِي ملاصقاً للجدار الشمالي للمسجد، وتبلغ أبعاد المصلى ١٨,٥م × ٢,٥م، ويرتفع سقفه ١,٥م

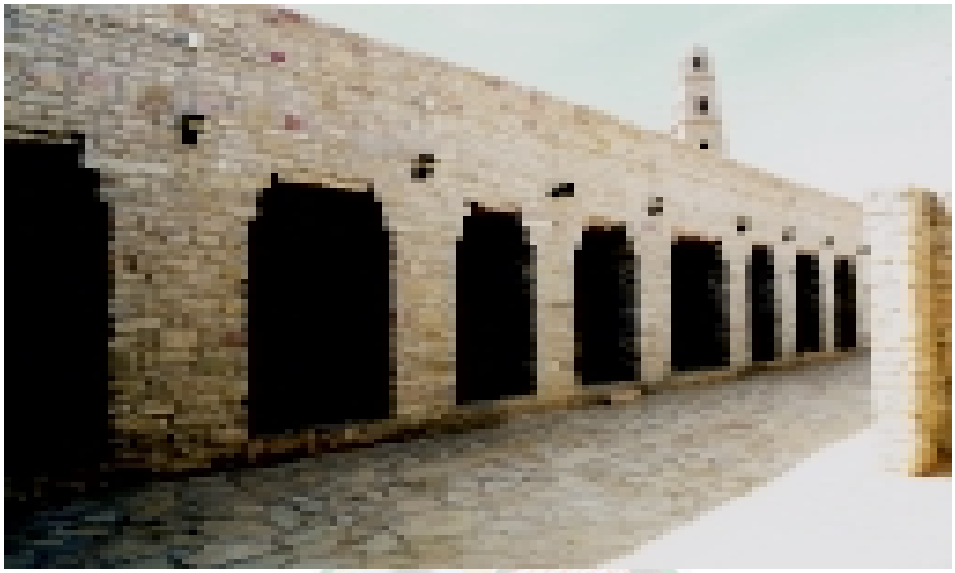

مسجد عمر: الواجهة المطلة على صحن المسجد – دومة الجندل

فقط. ويتوسط هذا البناء محراب مجوف يبرز عن جدار قبلته بشكل كبير، ويرتبط بالمصلى درج حجري يقع في الركن الشمالي الغربي، يؤدي إلى سقف المصلى. ويتضح الغرض الذي بني من أجله المصلى من خلال تتبع أنماط المساجد المحلية في منطقة الجوف، والتي يحتوي معظمها على أنماط مشابهة من المصليات التي توجد في مؤخرة المساجد. فقد كانت تستخدم للصلاة في فصل الشتاء، كما تستخدم مصليات للنساء يؤدين فيها صلاة التراويح والقيام خلال شهر رمضان.

وأما مئذنة المسجد فتمثل أبرز معالمه وأهم عناصره البنائية. تقع المئذنة في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وتبرز عن مستوى جدار القبلة. وترتبط المئذنة بمدخل المسجد الوحيد الذي كان يقع، سابقاً، شرقها مباشرة. ويعبر أسفل السلم الحجري المؤدي لفتحة المئذنة. ثم تحول المدخل في فترة لاحقة إلى غرب المئذنة بسبب وضع السلم الحجري في تلك المرحلة. وتمثل مئذنته المربعة طرازاً فريداً في الجزيرة العربية، وهو يشبه طراز المآذن الإسلامية المبكرة التي ظهرت في بلاد الشام خلال العصر الأموي، فقد كانت المئذنة المربعة أقدم أنواع المآذن التي عرفتها المساجد الإسلامية المبكرة. وهي تتكون من قاعدة مربعة طول ضلعها ثلاثة أمتار، وتضيق جدرانها الحجرية للداخل كلما ارتفعت

مئذنة مسجد عمر – دومة الجندل

للأعلى لتأخذ المئذنة شكلاً شبه هرمي بارتفاع ١٢,٧م. وللمئذنة خمسة مستويات: المستوى الأرضي، ويشكل قاعدة البناء، وهو بناء حجري مصمت يخترقه ممر ضيق تعلوه طنف حجرية ضخمة تحمل المستويات العليا. والمستوى الثاني، ويتم الوصول إليه عن طريق مدخل المئذنة الذي يقع في الجدار الشمالي، ويرتفع عن مستوى أرضية المسجد بحوالي ٣,٥م ويتصل المدخل بسلم حجري منكسر. ويبلغ ارتفاع مدخل المئذنة ١,٥م وعرضه ٥٨سم ويؤدي المدخل إلى الحيز الداخلي للمستوى الثاني الذي يبلغ طول ضلعه ١,٧م، إذ يتصل المستوى الثاني بالمستوى الثالث من خلال سلم حجري لولبي يلتصق بالجدران الداخلية. ويتوقف هذا السلم الحجري عند المستوى الرابع نظراً لضيق الحيز الداخلي للمئذنة، واستعيض عنه بسلسلة من الحجارة البارزة المنبثقة من جدار المئذنة، وتسمح بالصعود للمستويين العلويين.

وتفتح في الجدران الخارجية للمستويات العلوية أربع نوافذ، متباينة أحجامها، في كل مستوى. والغرض من هذه النوافذ أو الفتحات ربما كان لتخفيف ضغط الهواء على المئذنة، بالإضافة لوظيفة التهوية وتوزيع صوت الأذان في جميع الاتجاهات.

إن طبيعة بناء مسجد عمر وعناصره المعمارية، التي تعكس نمط البناء القديم في دومة الجندل، ومحافظة المسجد على هذه الطبيعة، جعلت منه بناء فريداً في المملكة العربية السعودية لما يمثله من بساطة في نمطه وتخطيطه وبنائه إضافة إلى أنه يذكرنا بالمساجد الإسلامية المبكرة.

وتحيط بالمسجد من الجهتين الغربية والشمالية بقايا البلدة القديمة (حي الدرع).

صورة عامة لحي الدرع بدومة الجندل ويظهر مسجد عمر في مقدمة المباني

حي الدرع. يشكل هذا الحي، بالإضافة لمسجد عمر وقلعة مارد، مركز البلدة القديمة وقلبها النابض. وهو أهم أحياء دومة الجندل، وأكبرها مساحة، وأقدمها تاريخاً، لأن معظم الأحياء البعيدة عن مركز البلدة حديثة النشأة. ويحيط بالحي من الجهتين الشمالية والغربية مزارع النخيل، ويحده من الجهة الجنوبية الغربية السوق القديم لدومة الجندل الذي هدم قبل أكثر من خمسة وعشرين عاماً، وقد شملت عملية الهدم الأجزاء الجنوبية والغربية من الحي، لذلك تُعد مساحة الجزء الباقي من الحي صغيرة قياساً بمساحته قبل الهدم.

إن الدور السياسي الذي أدته دومة الجندل خلال العصور المختلفة جعل منها مركزاً مهماً للقبائل العربية في شمال الجزيرة العربية. وقد انعكس ذلك على الوضع المعماري للمدينة، التي اتسعت مساحتها وزادت منشآتها المعمارية.

ومع أن تاريخ حي الدرع لم يحدد بشكل مفصل بعد، إلاَّ أن أعمال الحفر الأثري التي تمت داخل الحي كشفت عن جانب مهم من تاريخ الاستيطان في دومة الجندل. ففي عام ١٣٩٦هـ حفرت إدارة الآثار والمتاحف مجساً داخل الحي، وعُثر فيه على طبقات أثرية يعود أقدمها للعصر النبطي. وكذلك أُجريت عام ١٤٠٦هـ أعمال حفر داخل الحي، كشفت عن أقدم أدلة استيطان في دومة الجندل. فقد عُثر على فخار

من النـوع المرسوم بخطوط مـتقاطعة باللون البني، وهذا النمط من الفخار يعود لفترة منتصف الألف الأول قبل الميلاد (فترة العصر الحديدي المتأخر)، ويُعد هذا الكشف أقـدم ما سُجل في دومة الجندل حتى الآن. والمكتـشفات التي أشرنا إليها وجدت تحت مستوى أساسات المباني القائمة، التي تعود إلى العصور الإسلامية المتأخرة.

يتمـيز المخطط الـعام لحي الدرع بمميزات عديدة تعكس نمط المدينة العربية الإسلامية، وأبرزها تـلاحم وانسجام النسـيج العمرانـي وسلسلة الـشوارع والأزقة الضيقة التي تخترق الحي بشكل غير منتظم، إضافة إلى أن هذا الوضع التخـطيطي أثـر بشكل مـباشر علـى تخـطيـط منـازل الحي التـي أخذت مساقطها أشكالاً غير منتظمة، وغلب عليها صغر المساحة التي استعيض عنها بتعدد طوابق المنازل.

يعتمد المخطط العام لحي الدرع على ساحـة وسطى مركـزية، تمثـل قلب البلدة. وتـلتقي عند الساحـة سلسلة الطرقـات والأزقة التي تربط مـداخل الحي الخمسة بهذه الساحة، أو البرحة، كما يطلق عليها محلياً. والجزء الأوسط من الساحة مغطى بثلاثة عقود متوازية تحمل سقفاً مستوياً من جذوع النخيل والسعف والطين. وتبلغ مساحة الجزء المغطى من الساحة ١٢م × ٦م، وعلى جانبيه تصطف مصاطب حجرية ترتفع ٦٠سم عن مستـوى أرضية الساحة. ويظهـر أثر الاستخدام الطـويل على أحجار هذه المصاطب، إذ إن سطوحها ملـساء جداً. ويمـثل موقـع الساحـة الوسطى حلقة الوصل التي تربط بين أجزاء الحي الأخرى. فالموقع كان نقطة التقاء وتواصل، ليس فقط بين وحدات الحي المعمارية، بل أهم من ذلك بين سكان الحي، فقد كان هذا الحيز يمثل الملتقى الذي يجتمع فيه سكان الحي، خاصة كبـار السن الذين يجدون فـي هذا المكان الظـل والهواء البارد بعيداً عن أشعة الشمس المحرقة.

ونظراً لكبر مساحـة الحي، وتعدد مداخله، فقد أدت كثافة المنازل وارتباط الحي بالأحياء الأخرى ومزارع النخيل الواقعة شماله وشرقه -إضافة إلى سوق البلدة الواقع جنوبه- إلى تعدد مداخل الحي التي ربطته بالمنطقة التجارية والمزارع عن طريق خمسة مداخل. ويعد المدخل الجنوبي أهمها ويمثـل المدخل الرئيسي لأنه يربط الحي بمسجد عمر وقلعة مارد وسوق المسـحب (سوق دومة الجندل

القديم). أما المداخل الأربعة الأخرى فموزعة على النحو التالي: مدخل على الجهة الشرقية، ومدخلان على الشمالية، ومدخل على الغربية. وترتبط بهذه المداخل شوارع وأزقة ضيقة يتراوح اتساعها بين ٥,١م-٥,٢م تقريباً، ويعد الممر الذي يربط المدخل الجنوبي بالساحة المغطاة أطول هذه الممرات وأهمها. وينطلق من الساحة الوسطى عدد من الشوارع والأزقة، بعضها ينتهي بمداخل الحي، وبعضها الآخر ممرات تنتهي بمنطقة مسدودة، أو ما يمكن أن يطلق عليه شوارع غير نافذة. وكانت بعض تلك الممرات مغطاة، وتوجد طنف حجرية تصطف في الجزء العلوي من الممرات. وكانت تلك الطنف تعمل على حمل سقف حجري يغطي ممرات الحي، لحماية المارة من أشعة الشمس في فصل الصيف، والهواء البارد في فصل الشتاء. وتعد الشوارع والأزقة الضيقة من خصائص المدن العربية الإسلامية في الجزيرة العربية. فتصميم الشوارع والأزقة بهذا الوضع الضيق المتعرج له جوانب أمنية واجتماعية، ونظراً لطبيعة مناخ الجزيرة العربية الصحراوي، الذي يتميز بالحرارة الشديدة صيفاً والبرودة الشديدة شتاءً، اتجه الإنسان في الجزيرة العربية إلى تصميم الممرات والشوارع بشكل ضيق ومتعرج، وأحاطها من الجانبين بالمباني المرتفعة في محاولة منه للتكيف مع ظروف البيئة والتغلب عليها.

ويمثل حي الدرع المنطقة السكنية الرئيسية بدومة الجندل. ومنازله ذات أحجام مختلفة يعتمد تخطيطها إما على فناء مركزي أو أمامي تفتح عليه وحدات الاستقبال، وآخر خلفي تفتح عليه وحدات المنزل الداخلية. وتتكون معظم منازل حي الدرع من طابقين، وهناك عدد قليل من ثلاثة طوابق. ويُقسّم الطابق الأرضي إلى قسمين: أولاً غرفة الاستقبال (المجلس، أو القهوة) الخاصة بالرجال، ويتقدمها عادة فناء صغير الحجم ويفتح على المدخل الرئيسي للمنزل. والقسم الثاني، وهو الخاص بالنساء، يضم في غالب الأحيان غرفتين أو ثلاثاً تفتح على فناء خلفي، يحوي مكاناً للطبخ وآخر للاستحمام. أما الطابق العلوي فيتكون من عدد محدود من الغرف، وتمتاز بتعدد أبوابها ونوافذها، وهذا مرده إلى تخصيص الطابق العلوي للاستخدام الصيفي. ويتقدم سطْح مكشوف محاطٌ بجدار ساتر غرف الطابق العلوي.

إن الظاهرة الأكثر وضوحاً في حي الدرع هي استخدام الحجر على نطاق واسع في بناء الحي بكامله، ما عدا الأجزاء العلوية التي بنيت في فترة متأخرة من الطوب (اللَّبِن)، وقد مكنّ توافر الأحجار الممتازة للبناء في دومة الجندل البنائين المحليين من استخدام الأحجار في تشييد الحوائط، وتغطية الممرات والأسقف في بعض الأحيان، مما جعل لدومة الجندل نمطاً بنائياً، كذلك وظفَ المِعمارُ المحلي تلك الأحجار لبناء العقود الحجرية على نطاق واسع في منشآت حي الدرع، مما جعل تلك العقود أهم السمات المعمارية التي تميز عمارة الحي عن غيره من أحياء دومة الجندل. وتنقسم العقود المستخدمة إلى نوعين: النوع الأول، العقد الدائري الذي يعتمد تصميمه على نصف دائرة كاملة، أما النوع الثاني، فهو العقد المدبب الذي ظهر في حي الدرع بشكله البسيط والمنفرج، إذ إن عقود الساحة المغطاة هي من النوعين الدائري والمدبب.

إن الجزء المتبقي من حي الدرع له أهمية كبيرة، نظراً لما يتميز به من خصائص تخطيطية وعمرانية تعكس جانباً من طبيعة المدن العربية القديمة في الجزيرة العربية. وهي مدن تتميز بخصائص مَكّنت الإنسان من التعايش مع البيئة المحيطة به ومع ظروفه الاجتماعية. ومن هذا المنطلق فإن بقايا البلدة القديمة من دومة الجندل تمثل إرثاً معمارياً يقدم نموذجاً لمدن الجزيرة العربية في العصور الإسلامية.

كما كشفت أعمال الحفر التي تمت في الجزء الغربي من المدينة عن بقايا مقابر نبطية جماعية، بنيت تحت مستوى سطح الأرض. ويعتمد تخطيط هذه المقابر على عدد من الجدران المتوازية المنفصلة عن بعضها بمسافة مترٍ تقريباً، وقد أحيطت الجدران بجدار خارجي واستغلت المساحات الفاصلة بين الجدران للدفن الجماعي. وقد عثر داخل هذه المقابر على كميات من العظام البشرية مختلطة ببعض المواد الأثرية، مثل الفخار والدُّمَى الطينية والحلي والخرز وعدد محدود من المسكوكات. وتعود هذه المقابر لفترة الاستيطان النبطي بدومة الجندل.

وتوجد على مسافة كيلومترين إلى الشمال والغرب من قلعة مارد بقايا أسوار دومة الجندل، وقد كُشِفت أجزاء من هذا السور الذي بني باستخدام الأحجار الشبيهة بحجارة قلعة مارد. ودعم السور بأبراج مربعة، ويرتفع في

الوقت الحاضر أكثر من خمسة أمتار. أما الجزء المتبقي من أسوار المدينة، والذي يتركز في الجزء الجنوبي الغربي والغربي والشمالي محيطاً بالجزء الغربي من المدينة ومزارعها القديمة، فيمتد لمسافة تقترب من ثلاثة كيلومترات.

موقع الديسة – شرق ضبا

الدّيسة

تقع الديسة إلى الشرق من مدينة ضبا، شمال غرب المملكة، على خط الطول ٢٨َ ٣٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٨َ ٢٧ْ شمالاً. وهي واحة زراعية قديمة بها آثار نبطية، وكتابات لحيانية، ومخربشات صخرية عربية قديمة، وخطوط كوفية، والعديد من الرسوم

كتابات من فترة ما قبل الإسلام في وادي قراقر قرب الديسة

الصخـرية، وأساسات لمـبانٍ ووحدات سكنية. كما توجد بالديسة واجهة نبطية منحوتة غير مكتملة تماثل واجهات المقابر النبـطية الموجـودة بالحجر، وتعـد هذه الواجـهة أهم الآثـار القديمـة الموجودة بالموقع.